الإنساني 49

توسع المناطق الحضرية أو العيش في خطر

تصدر كل ثلاثة شهور عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر

ICRC

غير مخصصة للبيع | العدد التاسع والأربعون | صيف 2010

كاريكاتور

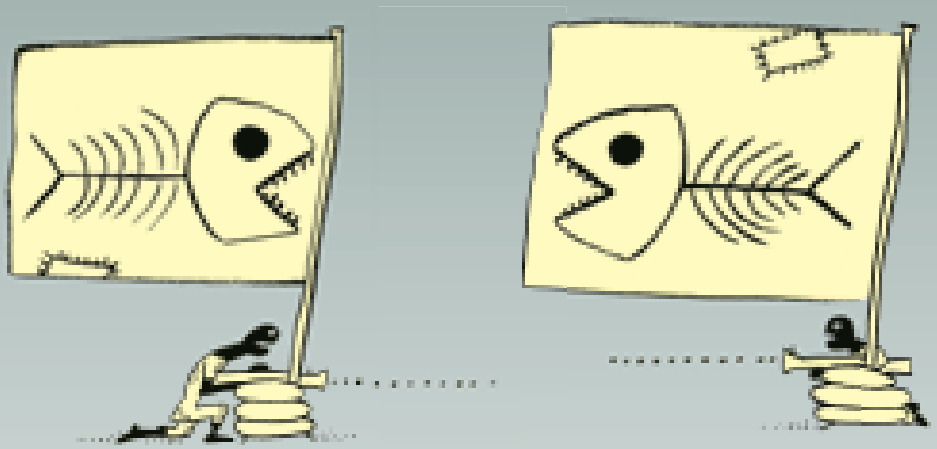

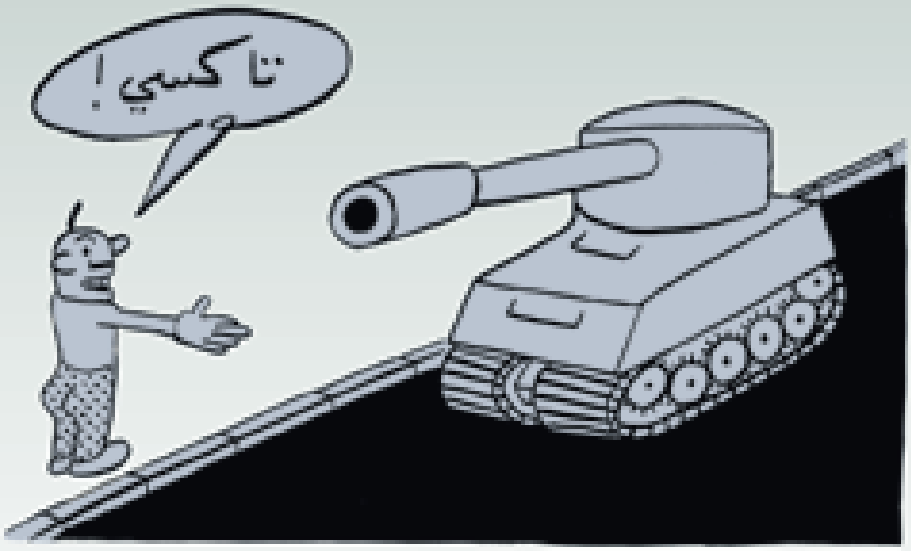

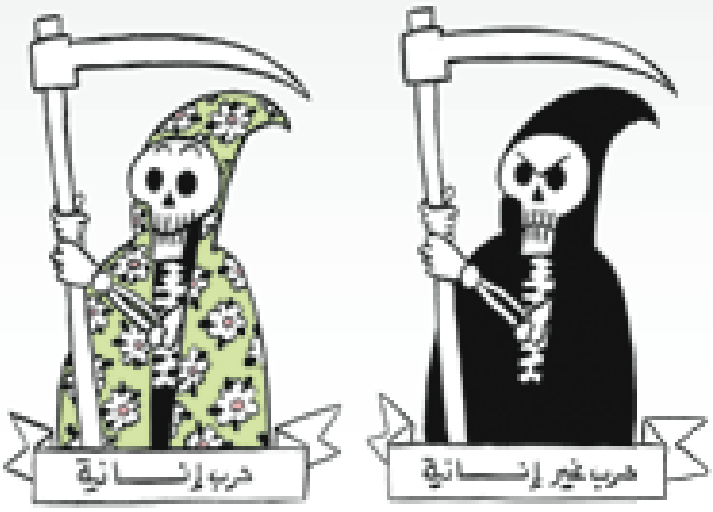

محيي الدين اللبّاد

وداعًا

في الرابع من أيلول/سبتمبر الماضي لفّ الحزن أسرة الإنساني وبعثة اللجنة الدولية في القاهرة لفقدان الفنّان المصري الكبير والمصمّم الغرافيكي محيي الدين اللبّاد.
واللبّاد ساهم لأكثر من عشر سنوات في ولادة هذه المجلة ورسم صورتها الأولى ثم عمل على تطويرها وإنضاجها، رسمًا وتصميمًا، مع من توالى على مسؤولياتها، بالإضافة إلى عمله بابتكار نادر على تصميم وتنفيذ العديد من مطبوعات اللجنة ومشاريعها خلال السنوات الماضية.

«وداعًا اللبّاد»
صفحة 32–33

الكاريكاتور: **محيي الدين اللبّاد**، [مصر، 1940–2010]

عندما تفقد المدينة روحها

لطالما كان لكل مدينة روح تتشكل من أرواح البشر القاطنين فيها، تتأثر بهم وتؤثر فيهم. فهذه مدينة هادئة تسير ببطء نحو غدها، وتلك مدينة مزدحمة تقضي أيامها في محاولة مستمرة للتحايل على الفوضى التي تسودها، وأخرى تضم بين ثناياها أعراقا من البشر ولغات مختلفة حولتها إلى ما يشبه برج بابل، وتلك تتهادى على شاطئ البحر تستمتع بالشمس وتراقب بفرح طفلا يلهو بالرمال... لكن المدن تتغير، وسكانها كذلك. المدينة تفقد روحها مع تزايد أعداد القادمين إليها من اتجاهات ومشارب مختلفة، بعضها بعيد عن ثقافة المدنية. إذ تشير الأرقام العالمية إلى أن نصف سكان العالم أصبحوا سكان مدن في العام 2005. ويتوقع أن يصبح هناك 28 مدينة ضخمة في العام 2015، أي أن عدد سكانها يزيد على العشرة ملايين نسمة.

هذا الاتجاه نحو ترك الريف باتجاه المدن بدأت أولى بوادره تظهر مع الثورة الصناعية الكبرى في القرن التاسع عشر في الدول الغنية. وترتبط هذه الظاهرة أساسا بالبحث عن فرص عمل أفضل وتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والحصول على تعليم أفضل وعلى نظام حياة أكثر راحة. لكن هجرة معاكسة بدأت تلاحظ في العقود القليلة الماضية وهي الهجرة من المدن الكبرى إلى مدن الضواحي الصغيرة. فمع تزايد التلوث والزحام والعنف في المدن الكبرى، أصبحت عائلات كثيرة تفضل أن ينمو أولادها في بيئة أكثر نظافة وهدوءا وأمانا من بيئة المدينة.

في المقابل استمرت حركة الهجرة من الريف إلى المدن وضواحيها الفقيرة في الدول النامية. إذ إن غالبية هذه الدول ركزت جهود التنمية في العواصم والمدن الكبرى مع رغبتها في التحول من الزراعة إلى الصناعة، ما جعل مستوى المعيشة والدخل في هذه المدن أعلى بكثير منه في الريف، وحول المدينة إلى جاذب لكل من يبحث عن فرصة عمل جدية، لاسيما أن الصناعات تركزت في المدن وحولها واحتاجت إلى أيد عاملة. وفي غالبية الحالات كانت الهجرة من الريف إلى المدينة هي في الواقع هجرة من الريف إلى العاصمة، وهذا ماثل في تجارب دول العالم الثالث ذات الكثافة السكانية العالية مثل مصر والهند وإيران وتركيا ونيجيريا والبرازيل والمكسيك.

وهو ما أدى إلى تشكل مجتمعات مدنية ضخمة، بعضها عشوائي بسبب عدم قدرة كثير من دول العالم النامي على تأمين البنية التحتية اللازمة من خدمات صحية ومياه وكهرباء وطرق لهذه الأعداد المتزايدة من السكان. كما ارتفعت معدلات العنف والجريمة في كثير منها. كل ذلك زاد من التحديات التي تواجه الدول النامية بشكل عام، وأدخل بعضها في حلقة مفرغة من العجز الاقتصادي والاستدانة وعدم القدرة على النهوض والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والانحدار نحو المزيد من التلوث البيئي ومن العنف في المدن ومن المشاكل الإنسانية...

هذا الواقع الذي يسير العالم باتجاهه، معطوف عليه واقع بيئي مترد يتمثل في ارتفاع حرارة الأرض وما يتبعها من تزايد في وتيرة الأحداث المناخية المتطرفة (من ارتفاع شديد أو انخفاض شديد للحرارة) والكوارث البيئية والإنسانية اللاحقة لها، كلها أمور تجعلنا نتساءل: ألم يحن الوقت لبني البشر أن يقفوا موقفا حازما تجاه الكثير من الممارسات الضارة ببيئتهم وصحتهم ونوعية حياتهم التي تطبع واقعهم اليوم؟ هل من صحوة إنسانية تعيد بعض التوازن إلى حياتنا وتحفظ للأجيال المقبلة حقهم في حياة كريمة وآمنة على الأرض؟

«الإنساني»

الإنساني

تصدر كل ثلاثة شهور عن
اللجنة الدولية للصليب الأحمر

رئيس التحرير هشام حسن
مدير التحرير زينب غصن
المستشار القانوني د. عامر الزمالي
مستشار التحرير محمد بن أحمد

المراسلات : 33 شارع 106 حدائق المعادي، القاهرة 11431، مصر
هاتف : 25281540/25281541 فاكس : 25281566
البريد الإلكتروني: cai_csc@icrc.org
الموقع الإلكتروني: www.icrc.org/ara

الآراء الواردة بهذه المطبوعة لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها

الإشراف الفني أحمد اللباد

ICRC

اللجنة الدولية للصليب الأحمر منظمة مستقلة محايدة، أنشئت عام 1863. مهمتها إنسانية بحتة، تتمثل في حماية أرواح ضحايا الحرب وكرامتهم وتقديم المساعدة لهم. تقوم اللجنة بتوجيه وتنسيق أنشطة الإغاثة التي تنفذها الحركة الدولية للصليب والهلال الأحمر. وتعمل على ترويج وتدعيم القانون والمبادئ الإنسانية العالمية.

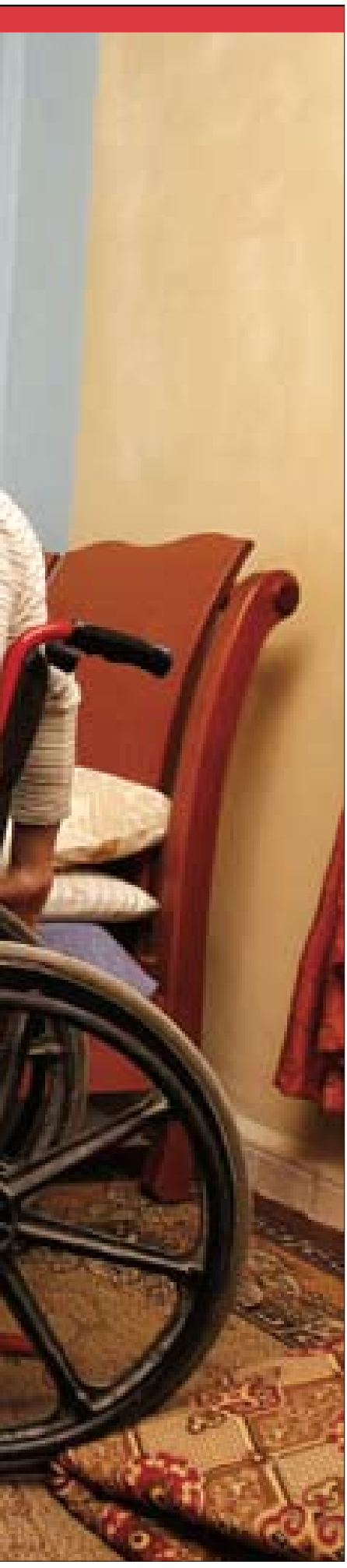

AFP

ICRC

49

صيف 2010

عائلة باكستانية فقدت منزلها وممتلكاتها نتيجة الفيضانات، وهي مثال حيّ لمشكلة التوسع العشوائي للمناطق الحضرية غير المعدّة لمواجهة الكوارث الطبيعية

لعنة القنابل العنقودية تلاحق اللبنانيين لسنوات مقبلة ..... سمر القاضي 05

الملف: توسع المناطق الحضرية أو العيش في خطر 09

عنف وتلوث وفقر ومشاكل صحية 10

مواجهة التحديات الإنسانية التي يفرضها العنف ..... آن لوكليرك 13

الوجه الإنساني للتغيّر المناخي ..... ماري كلير فغالي 16

حروب المياه تهدد الأمن العالمي ..... د. عصام خليفة 19

أزمة المياه: المعضلة الكبرى لليمن اليوم ..... محمود السامعي 22

علاء الأسواني: ثقافة العشوائيات تنعكس على المدينة ..... حوار زينب غصن 25

منّا من رحل هانئًا بما بقي من فيء بيروت وشجرها ..... دلال البزري 28

العنف في المناطق الحضرية والمدارس ..... سميّة بلطيفة 30

وداعًا محيي الدين اللباد 32

حلم اللقاء يتحقق ..... ماريا سيسيليا جوان 34

برنامج تأهيل السجينات في اليمن: نافذة على المستقبل ..... عدنان حزام 36

تفاح الجولان: طعم الطفولة ورمز الأمل ..... سعاد مسعودي 38

عن أم سالم التي امتهنت إدخال الدفء إلى قلوب المعتقلين ..... ناديا دبسي 40

وسام فلورانس نايتنغيل: عربون على التقدير المستحق للممرضين 41

آليات الحماية الدولية للاجئين ومصداقيتها ..... د. محمد الطراونة 46

مدرسة صيفية للاجئين القصّر غير المصحوبين بأهاليهم ..... ز. غ 50

هكذا يرى اللاجئون الصغار القاهرة ..... محمد سلطان 51

بلا رتوش: **حقيبة محمد** ..... إشراق عبد العادل 52

الاسم «مدينة» .. المهنة نسج خيوط الألم والأمل ..... فتيحة الشرع 54

أركان العالم 55

سمر القاضي*

دخلت الاتفاقية بشأن الذخائر العنقودية حيز التنفيذ في الأول من آب/أغسطس 2010، بعد مضي عشرين شهرا فقط على فتح باب التوقيع عليها في النرويج. وتحظر هذه الاتفاقية إنتاج الذخائر العنقودية واستخدامها وتخزينها ونقلها. وبالرغم من مرور أربع سنوات على نهاية الأعمال العدائية بين لبنان وإسرائيل في آب/أغسطس 2006، لا تزال الذخائر العنقودية غير المنفجرة التي أسقطت على لبنان أثناء نزاع الأسابيع الخمسة تواصل حصد الضحايا من بين الأطفال والكبار.

* مسؤولة الإعلام في بعثة اللجنة الدولية في بيروت

اتفاقية منع الذخائر العنقودية دخلت حيز التنفيذ
لعنة القنابل العنقودية تلاحق اللبنانيين لسنوات عديدة مقبلة

لبنان واحدة من الدول البالغ عددها 107 الموقعة على الاتفاقية بشأن الذخائر العنقودية التي ينظر إليها كنقطة تحول في طريق السعي إلى القضاء على الذخائر العنقودية ووضع نهاية للمعاناة الرهيبة التي تسببها هذه الأسلحة لسنوات بعد نهاية النزاع. وبلغ عدد الدول التي صادقت على الاتفاقية 37 دولة، فيما قام البرلمان اللبناني بالتصديق على الاتفاقية في شهر آب/ أغسطس الماضي.

وكانت إسرائيل قد ألقت خلال نزاع العام 2006 ذخائر عنقودية تحتوي على قرابة أربعة ملايين قنبلة صغيرة، لم تنفجر مئات الآلاف منها عند الاصطدام، مما تسبب في تلويث مساحة تبلغ 43 كيلومترا مربعا في قرى الجنوب اللبناني وما حولها.

بدأ «**المركز اللبناني للأعمال المتعلقة بالألغام**» التابع للجيش اللبناني عملية إزالة القنابل العنقودية فور توقف الأعمال العدائية في 14 آب/ أغسطس. واستهل عمله بإجراء مسح فني لتحديد المناطق الملوثة والعمل على تقليص نطاقها. يقول رئيس المركز العميد **محمد فهمي** موضحا: «**لا شك أن القنابل العنقودية هي أسوأ نوع من الأجسام غير المنفجرة عند المعالجة بالمقارنة مع الألغام الأرضية وغيرها من الأسلحة التي يمكن تحديد موقعها حال وجود خرائط إرشادية**». وينبع خطر الذخائر العنقودية من واقع أن نسبة قد تصل إلى 40 بالمائة منها لا تنفجر عند الاصطدام، وتتوقف هذه النسبة على حداثة أو قدم الذخائر المستخدمة، فترتفع في حالة الذخائر الأقدم.

تم حتى الآن تدمير نحو 200 ألف ذخيرة عنقودية غير منفجرة. أما السؤال: كم بقي منها؟ فيظل دون إجابة شافية. يقول **العميد فهمي** «**إن هدف الوصول إلى لبنان خال تمامًا من الذخائر يعد من قبيل الحلم صعب المنال لأنه ببساطة مستحيل**». لا تزال دول أخرى في جميع أنحاء العالم تعاني منذ عقود من هذه اللعنة، ولبنان ليس استثناء.

كثيرا ما يكتشف حقل غير معروف ملوث بالقنابل عند انفجار إحداها بضحية جديدة

مأساة عائلة شبلي

كان **علي حسين شبلي**، راعي الغنم البالغ من العمر 45 عاما، هو وأسرته من بين أول ضحايا هذه «الأسلحة اللعينة» التي تواصل قتل وتشويه آلاف المدنيين في عديد من دول العالم التي مزقتها الحروب. أما آخر الضحايا في لبنان فكان شابا في الثالثة والثلاثين قتلته هذه الذخائر في حزيران/ يونيو الماضي، وأصيب رفيقه أيضا بجروح خطيرة في الحادث نفسه.

فَقَدَ علي ساقه، وقُتل أحد أبنائه، ويعاني ابن ثان له من إصابات خطيرة في البطن جراء انفجار قنابل عنقودية ألقيت على قريتهم «**حلتا**» بالقرب من الحدود مع إسرائيل. يقول **علي**: «**قلبت القنابل العنقودية حياتنا رأسا على عقب...لقد دمرتنا في الواقع**». كان ولداه في الثانية عشرة والثالثة عشرة فقط عندما أصيبا في انفجار قنبلة عنقودية في تشرين الأول/ أكتوبر 2006، بعد توقف النزاع بشهرين.

كان الطفلان يلعبان تحت أشجار الصنوبر بالقرب من منزلهما عندما وطئا قنبلة صغيرة. يقول الأب المفجوع: «**في واقع الأمر، كانت الساحة التي يلعبان فيها حقلا قاتلا متخفيا، رغم أنها –من المفترض– أن يكون قد جرى تنظيفها من القنابل العنقودية**».

عادت لعنة القنابل العنقودية لتصيب أسرة **شبلي** ثانيةً بعد عام ونصف العام، حيث فَقَدَ **علي** ساقه في انفجار بينما كان يرعى أغنامه بالقرب من القرية. واضطر

REUTERS

منذ ذلك الحين إلى بيع أغنامه وقطعة أرض لكي يدعم أسرته ويتمكن من دفع نفقات الجراحة وإعادة التأهيل اللازمين له ولولده. بدأت زوجته في صناعة الخبز لتوفير بعض الدخل للأسرة، أما هو فيقوم بأي عمل عرضي كلما سنحت له الفرصة.

اضطر **علي** للخضوع لعدة جراحات في ساقه المبتورة، كما خضع ابنه محمد لخمس عمليات في البطن على مدى السنوات الأربع الماضية، أزيل خلالها جزء من الأمعاء الدقيقة والمثانة والزائدة الدودية، كما أزيلت شظايا من أجزاء متفرقة من جسده. يبلغ **محمد** الآن السادسة عشرة ولا يزال يتعافى من أثر هذه التجربة القاسية. اضطر إلى ترك الدراسة قرابة العامين بسبب إصاباته وحالته النفسية. وكثيرا ما عاد من المدرسة إلى البيت محمولا فاقدا للوعي تماما أو في حالة من الصدمة والفزع. وكثيرا ما يظل قابعا في غرفته لأسابيع رافضا الخروج منها، كما توضح أمه.

لا شك أن فقدان الابن كان أكثر الجوانب •••

ICRC

الأول من آب: بدأ التنفيذ

تتميّز الذخائر العنقودية بسمات فريدة تجعلها تشكل خطرًا شديدًا على المدنيين، رجالًا ونساءً وأطفالًا. فهي حين تُستخدم أثناء النزاع، يمكنها أن تطلق ذخائر صغيرة متفجرة (قنابل صغيرة) على مساحات شاسعة، مما من شأنه أن يتسبب بعدد كبير جدًا من الإصابات في صفوف المدنيين حين تُستخدم في المناطق المأهولة بالسكان. ويمكن لبعض النماذج أن تحتوي وتنثر أكثر من 600 ذخيرة صغيرة على مساحة قد تتجاوز 30 ألف متر مربع. وتخفق أعداد كبيرة من الذخائر الصغيرة في الانفجار على النحو المخطط له مخلفةً وراءها إرثًا طويل الأجل من التلوّث بالمتفجرات. وكانت تلك الذخائر سببا في مقتل وجرح آلاف المدنيين سواء كانوا رجالا أو نساء أو أطفالا عند ملامستهم للذخائر الصغيرة غير المنفجرة.

وكل هذه الأسلحة محظورة بموجب الاتفاقية بشأن الذخائر العنقودية التي اعتمدتها 107 دول خلال المؤتمر الدبلوماسي الذي عقد في دبلن، أيرلندا في 30 أيار/مايو 2008 والتي تحظر استخدام وإنتاج وتخزين ونقل الذخائر العنقودية. وفي 16 شباط/فبراير2010، أصبحت بوركينا فاسو الدولة الثلاثين التي تودع صك تصديقها على الاتفاقية. واعتبارا من ذلك التاريخ، بدأ العد التنازلي لدخول الاتفاقية حيز النفاذ والجدول الزمني لتنفيذ التزاماتها. وأصبحت التزامات الاتفاقية ملزمة من الناحية القانونية للدول الثلاثين المصدقة عليها في الأول من آب/ أغسطس 2010 وكذلك للدول المصدقة في فترة لاحقة.

ومن خلال اعتماد هذه الاتفاقية والتوقيع عليها، يرى بيتر هيربي رئيس وحدة الأسلحة باللجنة الدولية «ينبغي للدول أن تستمر في الانضمام إلى الاتفاقية، ويجب على جميع الحكومات والقوات المسلحة والمجموعات المسلحة– ولاسيما تلك التي تملك الذخائر العنقودية وتخزنها– أن تنفّذ أحكام الاتفاقية تنفيذًا كاملًا. وعندئذٍ فقط يمكن أن يعتبر المجتمع الدولي أنه تفوّق على المخاطر التي تطرحها هذه الأسلحة».

ستتيح الاتفاقية عند تنفيذها فوائد مباشرة للجماعات المتضررة من خلال زيادة الجهود الهادفة إلى تطهير المناطق الملوثة بالذخائر العنقودية، وهو ما سيسمح بإنقاذ الأرواح وإعادة استخدام الأراضي لأغراض الزراعة وأنشطة إنتاجية أخرى. كما أنها ستفيد ضحايا الذخائر العنقودية من خلال تعزيز الالتزام بمختلف أنواع الدعم، منها الدعم الطبي وإعادة التأهيل. والأهم من هذا وذاك، يمكن للاتفاقية الحؤول دون وقوع معاناة إنسانية هائلة بضمان عدم استخدام مئات الملايين من الذخائر العنقودية الصغيرة مطلقا وتدميرها.

من النقاط الأصعب التي واجهتها المفاوضات بشأن هذه الاتفاقية ما إذا كان سيعتبر الجنود مسؤولين جنائيا عن إجرائهم عمليات عسكرية مشتركة مع الدول التي لم تنضم إلى الاتفاقية. ويشرح هيربي «أن نص الاتفاقية لا يحظر «التعاون والعمليات في المجال العسكري» مع الدول التي ليست أطرافا في الاتفاقية والتي قد تستخدم الذخائر العنقودية في إطار عملية مشتركة. إلا أنه يطلب من الدول الأطراف في هذه الظروف ألا تشجع الدول غير الأطراف على استخدام الذخائر العنقودية. وبالإضافة إلى ذلك، ففي الوقت الذي يجوز فيه التعاون وإجراء العمليات المشتركة في المجال العسكري، يجب ألا ينطوي ذلك على استخدام الذخائر العنقودية من جانب الدولة الطرف نفسها أو على نشاط آخر محظور مثل خزن الذخائر العنقودية أو نقلها أو إنتاجها».

ويحد الحكم بشأن التعاون والعمليات في المجال العسكري (المادة 21) من نطاق حظر تقديم المساعدة على استخدام الذخائر العنقودية الوارد في الاتفاقية. إلا أن الشروط المفروضة على الدول الأطراف بعدم التشجيع على استخدام الذخائر العنقودية في عمليات مشتركة ستحد إلى درجة ما من الأثر المحتمل لهذا الحكم.

كما كانت مسألة إعطاء فترة انتقالية يمكن خلالها الاستمرار في استخدام الذخائر العنقودية من جانب الدول الحائزة عليها حاليا مسألة مثيرة للخلاف. لكن الاتفاقية لم تنص على أية فترة انتقالية لاستخدام الذخائر العنقودية في «ظروف استثنائية» بعد دخولها حيز النفاذ بالنسبة لدولة طرف. وقد عارضت اللجنة الدولية بشدة مثل هذا الحكم الذي ترى أن من شأنه أن يقوض السلطة الأخلاقية للاتفاقية ويعرض حياة المدنيين للخطر.

ICRC

●●● إيلاما في مأساة أسرة شبلي مع الأسلحة العنقودية. يقول **علي**: «**لا أبالي لفقد ساقي وممتلكاتي... ولكن خسارتي الكبيرة هي فقدان ابني. الله وحده يعلم كم ضحية لا زالت في انتظار أن تحصدها هذه الأسلحة اللعينة...وهذا أمر مفزع جدا**».

قتلت الذخائر العنقودية في لبنان 46 شخصا وأصابت 340 آخرين منذ آب/أغسطس 2006، وفقا للإحصائيات الرسمية الصادرة عن المركز اللبناني للأعمال المتعلقة بالألغام. وبعد أربعة أعوام من العمل المتواصل الذي يقوم به المركز وعديد من وكالات الأمم المتحدة ومنظمات غير حكومية دولية، جرى تنظيف نصف المنطقة الملوثة والتي تقدر بنحو 43 كيلومترا مربعا.

إن وجود ألغام غير منفجرة مشكلة مزمنة في لبنان، ولكن فاقمها التلوث بالذخائر العنقودية منذ عام 2006

بعدا نفسيا كبيرا إضافةً إلى الجانب البدني. ويتعين على المعالج التأكد من ملاءمة الطرف الاصطناعي للشخص وشعوره بالراحة النفسية مع هذا الجزء الغريب عن جسده، من أجل مساعدته على استعادة الحياة الطبيعية إلى حد ما».

يشكل ضحايا الذخائر العنقودية الجزء الأعظم من عملاء **سنجر**، ويرجع ذلك إلى حد كبير لوقوع مركز التقويم الخاص به في مدينة صيدا في جنوب لبنان حيث تقع جميع حالات الإصابة بالقنابل العنقودية. أنشأ سنجر فريقا لكرة القدم من بين ضحايا الذخائر العنقودية بعد أن أصبحوا قادرين على اللعب بفضل الأطراف الاصطناعية. يقول **سنجر**: «**تحسنت حالتهم المعنوية كثيرا لأنهم صاروا قادرين على ممارسة هذه الرياضة رغم إعاقتهم**».

بالرغم من الانخفاض الكبير في عدد ضحايا الذخائر العنقودية خلال العام الماضي، لا يزال **سنجر** يستقبل ضحايا جددا لهذه الأسلحة، ويقول: «**مشكلة الذخائر العنقودية هي أنها إن لم تنفجر تظل تسبب أضرارا لفترة طويلة...إنها سلاح يظل يقتل لسنوات وسنوات بعد توقف الحرب**».

ويعد رفع الوعي بمخاطر الألغام من أهم الوسائل التي يلجأ إليها المركز اللبناني للأعمال المتعلقة بالألغام والمنظمات غير الحكومية للحد من عدد الضحايا. وفي هذا الخصوص، جرى تنظيم حملات توعية موجهة إلى المجتمعات المحلية المتضررة وتشمل الطلاب وسكان القرى والرعاة... إلخ. استخدمت فيها النشرات ولوحات الإعلانات والملصقات وعلامات التحذير التي توضح شكل القنابل العنقودية وتحمل رسائل توعية بأخطارها. كما وُزعت في هذه الحملة كتب ملونة وبعض الألعاب على صغار الطلاب في المدارس بهدف التوعية.

سوف يتواصل العمل على إزالة هذه الألغام لسنوات عديدة، وسيشمل أيضا إزالة الألغام الأرضية التي زرعتها إسرائيل في جنوب لبنان، وتلك التي زرعتها مختلف الميليشيات المحلية في مناطق مختلفة من البلد على مدى عقود من الحرب الأهلية والنزاعات المسلحة الخارجية التي ابتلى بها لبنان. إن وجود ألغام غير منفجرة مشكلة مزمنة في لبنان منذ السبعينيات، ولكن التلوث بالذخائر العنقودية غير المنفجرة منذ عام 2006 فاقم المشكلة، لأن هذا «السلاح اللعين» يظل يحصد أرواح السكان لأجيال عديدة مقبلة ■

دعم ضحايا القنابل العنقودية

يؤكد الاختصاصي في تقويم العظام والموظف السابق باللجنة الدولية **بسام سنجر** «**إن الضرر النفسي الذي يعانيه ضحايا الذخائر العنقودية يماثل في خطورته الضرر البدني**». يقول **سنجر** «**يحمل العمل مع ضحايا الذخائر العنقودية في طياته**

ICRC

الملفّ

توسع المناطق الحضرية أو العيش في خطر

لأول مرة، فاق عدد السكان الذين يعيشون في المناطق الحضرية 50 في المئة من سكان العالم، وهي نسبة يُتوقع أن ترتفع إلى أكثر من 60 في المئة في العام 2030. كما يُتوقع أن تستحوذ مدن البلدان النامية على 95 في المائة من النمو الحضري في العقدين المقبلين. ومع تزايد نمو المناطق الحضرية في العالم وصل العنف في العديد من المدن إلى مستويات وبائية ما جعل الحياة اليومية في بعض الأماكن أقرب إلى الحال في مناطق الحروب. فهذا التحضر السريع يؤدي إلى حدوث تغيرات اجتماعية واقتصادية وبيئية وحتى صحية ويخلق تحديات جديدة لسكان المدن، كما للحكومات ولأولئك الذين يسعون إلى تقديم المساعدة لهم. وتشكل هذه الظروف أرضا خصبة لبروز صراعات مسلحة وحروب مقبلة هدفها الأول السيطرة على موارد طبيعية جديدة مقابل أخرى بدأت تنضب.

عنف وتلوث وفقر ومشاكل صحية

يشكل سكان المدن حاليًا نصف سكان العالم ومن المتوقع أن يتزايد عددهم بشكل متسارع خلال العقود القادمة. ويعني الانتقال للعيش في المدن بالنسبة للكثيرين الحصول على وظائف وخدمات أفضل. ولكن بالنسبة للملايين فإن حياة المدينة تعني العنف، والفقر، والتلوث، والاستضعاف المتزايد. ويعيش ما يُقدر بمليار شخص في الأحياء الفقيرة أو في غيرها من المساكن رديئة النوعية.

يعيش نصف سكان العالم في مراكز حضرية. وتعتبر هذه المراكز محركات لتحقيق الرفاه الاجتماعي وإبراز التعبير الثقافي والتنوع وإنجاز النمو الاقتصادي، إلا أنها عُرضة أيضا للتلوث والعنف والجريمة وتشكيل البيئات غير الصحية والمكتظة، وتوليد الفقر، والإقصاء الاجتماعي، وحالات الاستضعاف المتزايدة. ومن المتوقع أن يسكن 4,9 مليار شخص في بيئات حضرية بحلول العام 2030 - أي أكثر من 60٪ من سكان العالم. (الأمم المتحدة – الموئل).

وتقع معظم كبريات مدن العالم في البلدان ذات الدخل المنخفض أو المتوسط. ويسكن ثلثا لاجئي العالم، وهم 10,5 مليون لاجئ، داخل المدن بحسب المفوضية السامية لشؤون اللاجئين.

سكان المدن معرضون للخطر

يعيش مليار إنسان في ظروف سكنية رديئة، في مساكن مكتظة داخل أحياء فقيرة أو تجمعات عشوائية، وهم أكثر عرضةً للأمراض، مثل فيروس فقدان المناعة المكتسبة (الإيدز) أو السل. ومن الممكن أن يرتفع عدد سكان الأحياء الفقيرة في العالم إلى 1,5 مليار تقريبًا بحلول عام 2020. (الأمم المتحدة – الموئل). كما أن 680 مليونا من سكان المدن لا يملكون الإمدادات الكافية من الماء، 850 مليونا لا يملكون المراحيض ذات النوعية الكفيلة بخفض المخاطر الصحية.

ويقع نصف المدن العشرين الأكثر اكتظاظًا بالسكان، والتي كانت في العام 2005 الأكثر عرضةً لخطر ارتفاع منسوب المياه والمد الناتج عن العواصف، في بلدان منخفضة أو متوسطة الدخل في قارة آسيا مع الإشارة إلى أن آسيا هي القارة الأكثر تعرضًا للفيضانات الناتجة عن العواصف والمد المائي بحسب منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي.

وغالبا ما تتشكل المجتمعات الفقيرة في مناطق معرضة للخطر، أي في مناطق أكثر تعرضًا لحدوث كوارث طبيعية مثل الفيضانات. وفي أغلب الأحيان، لا يملك هؤلاء السكان الأراضي التي أقاموا مساكنهم عليها.

هذا وتشكل الجريمة المنظمة إحدى كبرى التحديات أمام جهود الحد من الاستضعاف في المدن. ومعظم مرتكبي أعمال العنف وضحاياه في المدن هم من فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و 25 عامًا. بحسب الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية.

الكوارث: الحد من المخاطر، وتوفير المأوى، وتغيُر المناخ

تقع مسؤولية تعزيز الأمن في المدن على السلطات المحلية والحكومات. ويمكن لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر، بصفتها جهات مساعدة رسميًا لحكوماتها فيما يتعلق بالشؤون الإنسانية، أن تلعب دورًا هامًا في الحث على اتخاذ إجراءات مستدامة للحد من مخاطر الكوارث.

إن تدابير التأهب لمواجهة الكوارث تنقذ الكثير من الأرواح. ومن بين هذه التدابير: التخزين المسبق لسلع الإغاثة، وتنسيق عمليات الإغاثة، وعمليات البحث والإنقاذ، والإسعافات الأولية، وإجراءات الإخلاء، والتقييم، وتمارين الإنذار والمحاكاة.

وتعتمد الإجراءات المبكرة والفعالة على وصول الإنذار المبكر للسكان في الوقت المناسب وبصورة مفهومة، كما تعتمد الاستجابة الفعالة إلى حد بعيد على حسن استعداد جميع الأطراف.

وتشمل عملية الإيواء التخطيط العمراني السليم الذي يتضمن إشراك المجتمعات المحلية، ومراعاة العوامل البيئية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة بإعادة الإعمار.

وتذهب أولويات عملية الإيواء إلى أبعد من إنقاذ الأرواح وتوفير الحماية من عوامل المناخ - فهي تشمل أيضًا ضمان الخصوصية، والكرامة، والسلامة الشخصية، وتوفُر المياه وأنظمة الصرف الصحي المناسبة.

من الطبيعي أن يكون المأوى هو أغلى ما تملك العائلة. ومن خلال الإجراءات التي تسبق وقوع الكوارث، تضمن حركة الصليب الأحمر والهلال الأحمر الحفاظ على هذا الممتلك الهام في أوقات الطوارئ.

AFP

من المتوقع أن يرتفع عدد المتضررين من الكوارث الطبيعية الناجمة عن الظروف المناخية إلى 375 مليون نسمة سنويًا بحلول العام 2015. وتحث الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر السلطات المحلية على تذكُر حاجات الفئات الأكثر استضعافًا في المجتمع عند مواجهة هذه الظروف المتقلبة.

الصحة والخدمات الاجتماعية

يعاني فقراء المدن من الأمراض بشكل مضخم، حيث يعيش أكثر من مليار شخص - أي ثلث سكان المدن - في الأحياء الفقيرة منها. أما الذين يعيشون في تلك الأحياء فهم أكثر عرضة للإصابة بالأمراض المزمنة والأمراض السارية، كالسل وفيروس فقدان المناعة المكتسبة (الإيدز).

وتدعو الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر إلى توفير الرعاية الصحية بشكل متكافئ لجميع المستضعفين، خاصةً الذين يسكنون في الأحياء الفقيرة المكتظة وغير الصحية.

ويلعب متطوعو الصليب الأحمر والهلال الأحمر دورًا حيويًا في الوصول إلى المجتمعات المحلية. ولكن هناك حاجة للمزيد من المساعدة لمواجهة تحديات صحية عالمية، كفيروس فقدان المناعة المكتسب، والسل، والملاريا، كما أن هناك حاجة للوصول إلى السكان المُهمشين في أحياء المدن، كالمشردين، وممارسي الدعارة، ومتعاطي المخدرات بالحقن، والمهاجرين.

وكلما توسعت المدن، ازداد معها خطر مرض السل - وهو مرض قاتل ينتشر عن طريق الهواء ويفتك بالمجتمعات الفقيرة والأماكن المكتظة.

إلى ذلك فإن حوالي مليار شخص اليوم لا يحصلون على إمدادات المياه النقية، ويعيش أكثر من مليارين بدون خدمات صرف صحي مناسبة. ومع أن معظم النقص يتركز في المناطق الريفية، إلا أن العدد المتزايد لسكان المدن يخلق ضغوطات كبيرة على الخدمات العامة، مما يؤدي إلى توترات داخل المجتمعات المحلية، وإلى العنف المسلح في بعض الحالات. وسوف يزيد استمرار هذا الوضع من صعوبة تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية التي وضعتها الأمم المتحدة في ما يتعلق بالمياه والصرف الصحي.

وبالرغم من النجاح الذي تحقق في إيجاد مراكز مياه نقية في مختلف مناطق المدن، لا تزال خدمات الصرف الصحي مشكلة كبيرة. فكل شخص من كل خمسة سكان في المدن، أي أكثر من 600 مليون شخص، لا يحصلون على خدمات صرف صحي مناسبة.

..وقد قدمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر، التي تتعاون غالبًا مع الجمعيات الوطنية، خدمات الماء والسكن خلال السنة الماضية إلى حوالي 13,6 مليون شخص في 35 بلدًا متضررًا من النزاعات المسلحة وغيرها من حالات العنف. وكان الكثير من هؤلاء المستفيدين يعيشون في مدن مثل **هيرات** (أفغانستان)، **وبغداد، ورفح، وخان يونس (قطاع غزة)، وبور-أو-برانس، وغوما (جمهورية الكونغو الديموقراطية)**.

ويجب أن يؤمن في المدن، ولاسيما في الأحياء الفقيرة منها، تدريب الأشخاص المستضعفين بالذات على كيفية الوقاية من الإصابات وإنقاذ الأرواح، بغض النظر عن قدرتهم على دفع كلفة هذا التدريب.

كذلك من الممكن تجنُب الوفيات والإصابات ●●●

AFP

الناجمة عن حوادث الطرق من خلال تعزيز السلامة على الطرق. فمن شأن ذلك إنقاذ أرواح الناس والحفاظ على مصادر عيشها والمساعدة على بناء مجتمعات أكثر أمنًا. ولذلك تساند حركة الصليب الأحمر والهلال الأحمر اتخاذ الإجراءات العاجلة على الصعيد العالمي لمعالجة هذه المشكلة الرئيسية في مجال الصحة العامة.

العنف في المجتمعات الحضرية

يشكل العنف في المناطق الحضرية تحديًا خطيرًا أمام الأشخاص المستضعفين. وغالبًا ما تتفاقم المشاكل بسبب عوامل كالفقر، وتفاوت الأوضاع الاقتصادية، والبطالة، والإقصاء الاجتماعي، والتهميش.

بينما يتزايد نمو المناطق الحضرية في العالم، وصل العنف في العديد من المدن إلى مستويات غير مسبوقة. ويؤدي العنف المُزمن إلى جعل الحياة اليومية في بعض المناطق شبيهة بالحياة في مناطق الحروب. ويتغير السياق الذي يظهر فيه العنف مع تسارع التوسع العمراني مولدًا تحديات جديدة للذين يقدمون المساعدات ويعملون على تجنُّب النزاعات.

وتسعى حركة الصليب الأحمر والهلال الأحمر إلى دفع الحكومات والسلطات المحلية إلى مواجهة التحديات التي يفرضها العنف في المدن، لا سيما سهولة الحصول على الأسلحة الصغيرة وغيرها من أنواع الأسلحة.

ومن خلال دورها كجهات مساعدة، تستطيع الجمعيات الوطنية مساعدة الحكومات في تجنب حدوث العنف أو التخفيف منه، عن طريق الاهتمام بالتعليم وإيجاد فرص العمل، وبالتالي توفير البدائل للعنف المسلح.

إن تعزيز الإدماج الاجتماعي ونشر ثقافة اللاعنف والسلم هو إحدى الأولويات الاستراتيجية للحركة، والعمل في المدن له أهمية خاصة في هذا الصدد. ومن خلال الجمعيات الوطنية، يدعو الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر إلى الحوار بين الثقافات والانسجام داخل المجتمعات المحلية وفيما بينها.

ومع أن اللجنة الدولية تعمل في مناطق النزاعات المسلحة بشكل رئيسي، إلا أن لديها أيضًا مهمة العمل في ما يسمى «حالات العنف الأخرى»، والتي تبرز أيضًا في المدن. وإذ تعمل غالبًا بالتعاون مع الجمعيات الوطنية، يمكنها الاستجابة، لحاجات الأشخاص الذين يجعلهم العنف السائد في المدن في حالة استضعاف حينما يرتدي الطابع الدولي لعملها وخبراتها واستقلالها وحيادها قدرًا كبيرًا من الأهمية بالنسبة لهؤلاء. وما يبرر تدخل اللجنة الدولية لا يكمن في أسباب هذا العنف وإنما في آثاره على الصعيد الإنساني.

يعيش أكثر من ثلث سكان المدن في الأحياء الفقيرة منها وهم عرضة للإصابة بالأمراض المزمنة والسارية كالسل والإيدز أكثر من غيرهم

الهجرة والنزوح

تقدر المنظمة الدولية للهجرة أن عدد المهاجرين الدوليين وصل إلى 214 مليون مهاجر في مختلف أنحاء العالم. وحسب المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، يعيش في المدن ثلثا لاجئي العالم البالغ عددهم 10,5 مليون لاجئ. وفي سعيهم لتأمين ظروف عيش أفضل، يقع عشرات الآلاف من الناس ضحايا للإساءة أو الابتزاز أو الاتجار، ويحدث ذلك غالبًا في التجمعات الحضرية. وتدافع حركة الصليب الأحمر والهلال الأحمر عن وجوب تأمين حصول حماية أفضل للمهاجرين، بغض النظر عن هويتهم أو مكان وجودهم أو وضعهم القانوني.

فحالة الاستضعاف هي المعيار الأساسي الذي تعتمده جمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر في تقديم المساعدة، وتكمن مهمة هذه الجمعيات في التخفيف من الآثار الإنسانية غير المقبولة الناتجة عن الهجرة.

وفي شهر كانون الأول/ديسمبر من العام 2008، كان العدد المقدر للذين يصنفون بـ«النازحين إلى داخل بلدانهم» بسبب النزاعات المسلحة أو غيرها من حالات العنف هو 26 مليون شخص. ويعيش عدد كبير منهم في المدن، وعليهم غالبًا تدبير شؤونهم بأنفسهم، لأنهم بعيدون عن مجتمعاتهم المحلية وعن شبكات الدعم التي اعتادوا الاعتماد عليها. وطالبت سياسة الحركة بشأن النزوح الداخلي التي اعتمدها مجلس المندوبين عام 2009 أن تلتزم حركة الصليب الأحمر والهلال الأحمر باتخاذ الخطوات اللازمة للحد من النزوح ودعم النازحين إلى داخل بلدانهم والمجتمعات المحلية التي تستضيفهم ■

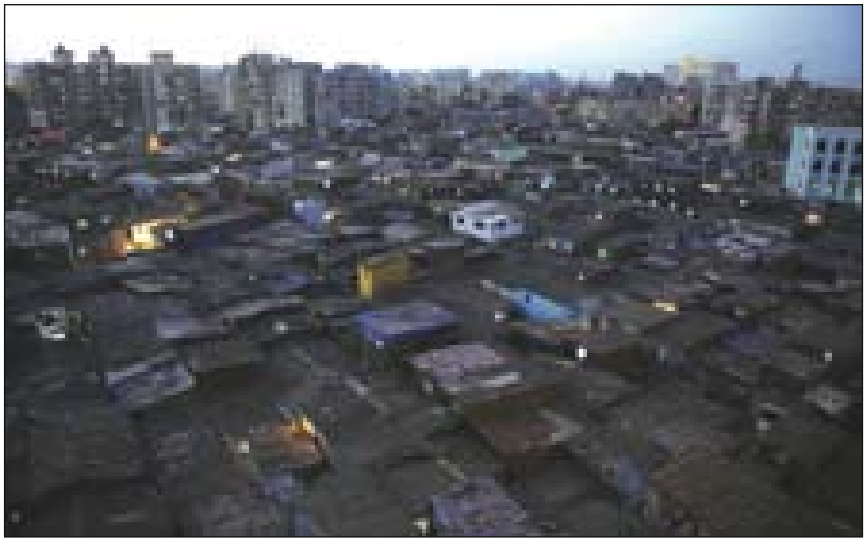

AFP

مواجهة التحديات الإنسانية التي يفرضها العنف

آن لوكليرك*

العنف كارثة إنسانية عالمية تتجلى في أشكال عديدة، أكثرها شيوعا هي الموجهة نحو الذات وتلك التي تقع بين الأشخاص بعضهم البعض. ورغم أنه يظل غالبا خفيا وسريا، فقد يقع في أي وقت من الأوقات وفي أي مكان، وربما يتجلى في صور مادية أو عاطفية أو نفسية أو انتهاكات جنسية أو في صورة تجاهل. وبغض النظر عن السن والنوع والخلفية أو المكانة الاجتماعية، فالعنف ينال من كرامة الإنسان واحترامه وصحته وحياته.

وينبع العنف في الغالب من الحرمان والظلم والتهميش الذي يستمد جذوره من عدم المساواة بين الناس ومن اليأس الذي يسببه الفقر. كما أن التفاوت الاقتصادي والسياسي الكبير بين المجتمعات المحلية بسبب الافتقار إلى الملكية وعدم المساواة في الحصول على الموارد - يعد سببا قويا للشعور بالعزلة والتوتر وعدم الإحساس بالأمان. ويمكن بكل سهولة تضخيم العنف الناجم عن هذه العوامل فيتحول إلى نزاع أكبر داخل المجتمعات المحلية ومختلف فصائل الأمة أو بين بعضها البعض.

REUTERS

مع النمو الحضري المتزايد في العالم اليوم، يصل العنف في عديد من المدن إلى مستويات كارثية، قد تضاهي المعاناة الإنسانية الناتجة عنها في بعض الأحيان تلك الناتجة عن نزاع مسلح. لكن بعض المبادرات نجحت في التخفيف من وطأة هذه التحديات.

الفقر والأحياء العشوائية تحت المجهر

يعيش مليار إنسان في أحياء عشوائية، وهم يمثلون سدس سكان العالم. ومن المتوقع أن يتضاعف هذا العدد خلال الثلاثين عاما المقبلة.

وتعد «الأحياء العشوائية»، أي أماكن السكن غير الرسمية، في مختلف أرجاء العالم انعكاسا واضحا للتفاوت والتهميش الاجتماعيين، إذ تعمل كثير من الأحياء العشوائية في العالم كحاضنات لإفراخ أكبر التحديات التي يواجهها العالم ومن بينها التطرف والأمراض المتفشية والتدهور البيئي والفقر.

يواجه سكان العشوائيات ظروفا غاية في التردي، فمساكنهم في أغلب الأحوال خربة ومكتظة بالسكان؛ ولا تفي خدمات المياه والصرف الصحي بحاجاتهم، كما تزيد قرارات الإخلاء الإجباري من ضعف السكان وتجعلهم أكثر عرضة للفقر والعنف والانتهاك.

ومن جانب آخر، تفتقر العشوائيات إلى الأنشطة والموارد الاقتصادية التي تخلق مجتمعا مستقرا كالبنوك ومكاتب البريد والمدارس. ولا تصل خدمات الدولة في أغلب الأحيان إلى كثير من الأحياء الفقيرة بسبب المخاطر الأمنية الكامنة فيها.

وبالرغم من أن سكان المناطق العشوائية هم قلب قوة العمل في المدن، إلا أن الفقر وتدني مستوى الحياة الإنسانية فيها يؤدي إلى أن يصبح ملايين من سكان العالم من هذه المناطق عرضة للأمراض والجوع والعنف والاستغلال والموت. ويزيد ضعف هؤلاء الأفراد من عزلتهم المادية والاقتصادية والاجتماعية.

ومن ثم، يصبح العنف مخرجا للتعبير عن إحباطهم، وربما كان أيضا وسيلة ينتهجها فقراء المدن من أجل البقاء. أما الأطفال الذين لا يلتحقون بالمدارس فيجدون بديلا لها في عصابات تقدم لهم فرصا للأمان وبعض الدخل. في برنامج للشباب أجراه الصليب الأحمر الإسباني، يقول المسؤول عن الوقاية من العنف، خوان جوزيه سوليس: «وجدنا شبابا كثيرين لا يشاركون في حياة مجتمعاتهم، فلا أحد يصغي إليهم، ولا يشعرون أنهم جزء من منطقتهم السكنية. أما هذه العصابات فتمنحهم شعورا بالانتماء. وعملنا هو مساعدتهم على أن يصبحوا جزءا من مجتمعاتهم، وأن نجعل المجتمعات تقدّر ما يمكن لأفرادها من الشباب تقديمه».

الاتحاد الدولي ونشر ثقافة اللاعنف

عندما انعقد المؤتمر الدولي للصليب الأحمر والهلال الأحمر في عام 2003، صنف الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر، وأعضاؤه البالغ عددهم 186 عضوا من الجمعيات الوطنية وحكوماتهم، «العنف، خاصةً في المناطق الحضرية» كواحد من التحديات الأربعة الكبرى التي تواجه العالم اليوم.

ويعمل الاتحاد الدولي في الوقت الراهن على مواجهة الأسباب الجذرية للعنف، وضمان السلامة والكرامة للمستضعفين على المستويين المحلي والعالمي. وفي هذا السياق، وضعت استراتيجية شاملة خاصة بالعنف لتوجيه وإرشاد جميع الجمعيات الوطنية حول أفضل سبل لمواجهته في جميع أشكاله ●●●

* Anne Leclerc ممثلة الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر في المكتب الإقليمي لشمال أفريقيا.

REUTERS

وتخفيف آثاره. وفي استراتيجية العام 2020، تعهد الاتحاد الدولي بالالتزام بالعمل على «نشر الاحتواء الاجتماعي وثقافة اللاعنف والسلم» كأحد الأهداف الثلاثة الاستراتيجية للاتحاد الدولي.

كما يعزز الاتحاد الدولي الدور الفريد الذي تقوم به الجمعيات الوطنية كعنصر مساعد للسلطات العامة في المجال الإنساني، مما يمكنها من مشاركة حكوماتها على جميع المستويات.

في إطار العمل لوضع حلول للمشكلات الإنسانية التي يسببها العنف، يقر كل من الاتحاد الدولي وجمعيات وطنية مثل جمعية الهلال الأحمر المصري بأن المجتمعات المحلية لا بد أن تقوم بدور رئيسي في تأمين بيئتها الخاصة وخلق ظروف تخدم توقعاتها في التنمية والتآلف والرخاء.

تعزيز قدرات المجتمعات الحضرية الفقيرة في مصر

دأبت جمعية الهلال الأحمر المصري منذ التسعينيات على معالجة أوجه الضعف التي تعانيها مجتمعات المدن العشوائية. ولا يركز نهجها الفريد على جماليات البيوت الجديدة فحسب، بل يحرص على وضع نبض حي في قلب المجتمعات العشوائية في القاهرة.

والهدف الأساسي لجمعية الهلال الأحمر المصري هو تحقيق التنمية من خلال تقوية أفراد المجتمع. ويتم تحقيق ذلك عن طريق إقامة مشاريع اجتماعية وثقافية وبيئية واقتصادية وتعليمية مثل نوادي السيدات والفتيات، ودور الحضانة، والتدريب على تقنية المعلومات، والمراكز الصحية ودروس محو الأمية.

وتحرص الجمعية على إشراك الأسر في المجتمعات المحلية في تحديد المشكلات، واقتراح حلول لها وتنفيذ هذه الحلول. وبالتوازي مع ذلك، تعمل على إحداث التغيير المطلوب لمفهوم وموقف المجتمعات الخارجية إزاء سكان العشوائيات. فلم يعد يُنظر إليهم بوصفهم «ضحايا مغلوبين على أمرهم»، بل بوصفهم قادرين على دعم أنفسهم وأسرهم إذا ما منحوا الفرصة واكتسبوا المهارة اللازمة.

وفي إطار عملية التنمية، يولد تواجد لمتطوعين في جمعية الهلال الأحمر المصري بشكل مستمر في الأحياء الفقيرة الحضرية من القاهرة لدى السكان شعورا بالانتماء للمجتمع ويسمح لهم بالاندماج فيه. وعلى عكس مشاعر الرفض والعزلة التي تشهدها الأحياء الفقيرة، يساعد هذا الشعور بالتضامن المشفوع بارتفاع المستويات المعيشية والثقافية والبيئية على إنعاش المجتمع.

وكما هي الحال بالنسبة لأي مشروع تنموي، هناك شعور بالخوف من النكوص أو خسارة ما تم استثماره من جهد وموارد متى تُرك المشروع للاعتماد على ذاته في الاستمرار.

وفي أحياء القاهرة الفقيرة، هناك احتمالات خطيرة قائمة لتحول المجتمعات المتجددة مرة أخرى إلى «مجتمعات الأحياء العشوائية». إلا أن عملية الاندماج والتمكين التي يتولاها الهلال الأحمر المصري قد أثبتت نجاحا باهرا فضلا عن ضمان الاستدامة على المدى الطويل.

وقد تكرر هذا النموذج للتنمية الحضرية – الذي شهدته مدينة النهضة منذ عام 1992 – من ذلك الحين في العديد من المناطق الفقيرة في القاهرة وفي إطار برامج إعادة التوطين في منطقتي الدويقة وزينهم.

وبحلول العام 2008، أي بعد مرور ستة عشر عاما على بدء المشروع، استطاع الهلال الأحمر المصري الوصول إلى ما يزيد على 52 ألف أسرة في مدينة النهضة حيث تقطن جميعها في منطقة واحدة (مقابل 13 أسرة تمت مساعدتها في عام 1992) وافتتاح 19 مركزا جديدا من مراكز الخدمات لتضاف إلى

المراكز القائمة بالفعل والبالغ عددها 14 مركزا.

وتواصل الشبكات الاجتماعية الفريدة من نوعها التي أنشئت في هذه المجتمعات إتاحة الفرص لزيادة الوعي بشكل فعال بالتحديات الإنسانية التي من الممكن مجابهتها مثل التأهب للأوبئة والهجرة والعنف القائم على نوع الجنس والاتجار بالبشر.

ويتجلى نجاح المشروع في المواقف داخل المجتمع. فعندما اكتشفت طالبة في مدرسة ثانوية تقوم جمعية الهلال الأحمر المصري بتمويل عملية تعليمها أن إدارة المدرسة قررت إعفاءها من دفع الرسوم الدراسية، أعادت المبالغ التي تبرعت بها الجمعية حتى تفيد في تعليم طفل آخر. ويدلل قرار الطالبة أيضا على أن فرص الحصول على التعليم وخفض مستوى الفقر يؤدي إلى غرس ثقافة السلام واحترام الآخرين.

إرساء ثقافة اللاعنف

قال **المهاتما غاندي**، وهو رائد فلسفة واستراتيجية اللاعنف، ذات مرة: «**كن أنت التغيير الذي تريد أن تراه في العالم**». وهذا هو الأساس الذي يقوم عليه برنامج بدأه في العام 2008 قسم المبادئ والقيم والمعروف باسم «الشباب كأداة لتغيير السلوك». وتقوم المبادرة التي تقودها الدكتورة **كاترين بيكمان** بتمكين الشباب لأخذ زمام المبادرة في تغيير العقليات والسلوك وبناء ثقافة المساواة والاندماج الاجتماعي ونبذ العنف.

وحتى الآن، استطاعت الشبكة المؤلفة من قادة شباب من أكثر من 40 جمعية وطنية في جميع أنحاء العالم إتقان وسائل غير تقليدية لتعليم المهارات السلوكية مثل التعاطف والاستماع الجيد والتفكير النقدي وعدم الحكم على الآخرين والوساطة والتسوية السلمية للتوترات. وقد جرى تطبيق هذا البرنامج بشكل فعال في شمال أفريقيا تحت إشراف المكتب الإقليمي للاتحاد الدولي في شمال أفريقيا.

تقول **بيكمان**: «**إن تمكين الشباب من اكتساب المهارات السلوكية لأمر ضروري إذا كنا نريد حقا تجسيد المبادئ السبعة الأساسية التي تقوم عليها حركتنا ونكون مثالا حيا لها**». ويدل التعاطف بوضوح على مبدأ «الإنسانية»؛ والتخلي عن التحيز والحكم على الآخرين لمن المهارات المهمة لتطبيق مبدأي «عدم التحيز» و«الحياد». وأضافت قائلة: «**ما يجذب الشباب أيضا هو أن البرنامج لا يقوم على التحليل الفكري. فنحن على العكس ندفع الشباب إلى المشاركة في لعبة تبادل الأدوار أو تمارين التصور. فتتولد لديهم مشاعر ذات صلة بالموضوع وتنبع من تجاربهم الشخصية. ثم من خلال استخلاص المعلومات مع أقرانهم فإنهم يقومون ببناء أنفسهم ويصلون إلى فهم للموضوع**».

ويتمثل الهدف النهائي في تشجيع الشباب الذين يعملون في إطار مبادرة «الشباب كأداة لتغيير السلوك» على الأخذ بزمام المبادرة في مجتمعاتهم المحلية. فهم يقدمون من خلال عملهم كشباب متطوعين في جمعيات الصليب الأحمر أو الهلال الأحمر نموذجا حيا للمبادئ السبعة ويساهمون في منع ممارسة العنف وانتشاره والتخفيف من آثاره مما يساعد على التصدي للتمييز وتعزيز التماسك الاجتماعي.

ICRC

يركّز الهلال الأحمر المصري على تنمية المناطق العشوائية عن طريق إقامة مشاريع اجتماعية وثقافية وبيئية واقتصادية وتعليمية

طرح حلول

إذا كان العنف هو كارثة إنسانية عالمية، فمن شأن الهلال الأحمر المصري ومبادرة «الشباب كأداة لتغيير السلوك» أن تدلل على الأساليب الفعالة التي من الممكن اتباعها لمواجهة هذا التحدي. ويعتمد نجاحنا إلى حد كبير على ملايين المتطوعين في جمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر في جميع أنحاء العالم الذين يشكلون القلب النابض للمنظمة. فلديهم قدرة هائلة على العمل داخل مجتمعاتنا لتغيير المواقف الفردية والسلوكيات وسبل كسب العيش. فهم يؤدون دورا أساسيا في مجال التصدي لمصادر العنف مما يسمح بأن ينظر إلى الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر على نطاق واسع بأنها مثل «المنفعة العامة»، أي متاحة للجميع وفي كل مكان وهدفها منع المعاناة البشرية والحد من آثارها.

وفي عالم اليوم وبالنظر إلى التحديات الإنسانية المتزايدة، يواصل الاتحاد الدولي والجمعيات الوطنية العمل معا مع الأخذ في الاعتبار أن قوى العولمة الخاصة بعالم متشابك ومترابط تنعكس بشكل متزايد على سبل تحسين حياة الأشخاص المستضعفين ■

ماري كلير فغالي*

ارتفاع غير مسبوق للحرارة في روسيا يؤدي إلى حرائق مدمرة. أمطار وفيضانات كارثية في باكستان وانزلاقات للتربة في الصين تشرد الآلاف. وتيرة متزايدة من الكوارث الطبيعية يشهدها العالم هل تكون إنذارا لبدء ظهور التأثيرات السلبية للتغير المناخي الذي أصاب الأرض ودور النشاط البشري في ذلك؟

تزايد ضحايا الكوارث الطبيعية أحد أشكاله

الوجه الإنساني للتغيّر المناخي

REUTERS

لم يتكشّف الجانب الإنساني للتغير المناخي إلا قبل سنوات قليلة، بعدما اتخذت الكوارث الطبيعية أوجه عطشى وجياع ومصابين ومشردين ونازحين في مختلف أنحاء العالم. صار للكوارث الطبيعية أسماء ناس وقعوا ضحية غضب الأرض على المخلين بتوازنها، فبات الشق الاقتصادي والاجتماعي للاختلال البيئي يشكل تهديدًا للإنماء المتوازن والمستديم. وبنتيجة ذلك، يهدد التغير المناخي بإغراق قدرات المنظمات الإنسانية على الاستجابة للكوارث بفاعلية وسد الثغرات لدى بعض أفقر الدول... وربما أكثرها عرضة للخطر.

إذ تتوقع الوكالات الأممية والإنسانية المتخصصة في الاستجابة للطوارئ والكوارث الطبيعية أن يؤدي التغير ألمناخي إلى تعقيد آليات نزوح البشر وتحركاتهم، والى الإخلال بالميزان الاجتماعي والاقتصادي لعدد كبير من الدول. وقد شرع عدد من المنظمات بإعداد خطط لمواجهة تبعات التغير المناخي على البشر، وقياس قدراتها على الاستجابة.

في هذا الإطار، وضعت المفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة ورقة عمل في العام 2008 شرحت فيها سيناريوهات نزوح محتملة لمجموعات بشرية ستتأثر في السنوات المقبلة بالكوارث الطبيعية الناتجة من التغير المناخي. وبالتزامن، شرعت الوكالة في التفاوض مع عدد من الدول لإيجاد ملجأ لمواطني الجزر والمدن الساحلية التي سيغرقها ارتفاع مستويات البحار والمحيطات بحلول عام 2050 بحسب التوقعات الأكثر تشاؤما.

كوارث مضاعفة

يقول العلماء إن عدد الكوارث الطبيعية تضاعف في العقدين الماضيين، فارتفع من 200 إلى أكثر من 400 كارثة سنويًا، 90 في المائة منها متصلة بالاحتباس الحراري.

وتفيد إحصائيات المجلس النرويجي للاجئين أن ما لا يقل عن عشرين مليون نسمة نزحوا في العام 2008 في ظروف متصلة مباشرة بالتغير المناخي.

ويتوقع أن يؤدي ارتفاع حرارة الأرض وتفاقم التصحر إلى تعزيز نزوح السكان من الأرياف نحو المدن، معززًا بذلك المنافسة على تقاسم الثروات والموارد الضئيلة أصلًا والضغوط على قطاع الخدمات في المدن والعواصم حول العالم.

ولأن الصراعات المقبلة ستكون صراعات على اقتسام الموارد المائية والغذائية والطاقة، لا يستبعد خبراء سياسيون واجتماعيون أن يتخذ التغير المناخي بعدًا جيوسياسيًا خطرًا.

وتشير دراسة أعدتها المفوضية السامية للاجئين في العام 2008 بعنوان «التغير المناخي، الكوارث الطبيعية والنزوح» إلى أنه وفي ظل هذه التغيرات، ستضطر الشعوب إلى اعتماد استراتيجيات مختلفة على المديين القريب والبعيد. ولئن كان النزوح بعد كارثة

★ مندوبة في البعثة الإقليمية للجنة الدولية في تونس

REUTERS

طبيعية كالأعاصير والفيضانات وانزلاقات التربة فوريًا، فإن نزوح السكان بأعداد كبيرة خلال مدة زمنية طويلة في اتجاهات مختلفة يبقى احتمالًا كبيرًا، من دون أن نستبعد تحول هذا النزوح إلى تهجير عابر للحدود. وعليه، ستضطر المنظمات الإنسانية والدولية للبحث عن أطر قانونية جديدة لتصنيف تحركات الشعوب.

الأمن الغذائي

من جهتها، حذرت منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة «الفاو» على هامش مؤتمر قمّة كوبنهاغن للتغير المناخي من أخطار تأثير هذه الظاهرة على قطاعات الزراعة والغابات والثروة السمكية في جزر المحيط الهادئ، مما سيخل بالأمن الغذائي الهش أصلًا في هذه المنطقة.

وأفاد تقرير موجز السياسات الذي أعدّته المنظمة بعنوان «تغيُّر المناخ والأمن الغذائي في إقليم المحيط الهادئ» في كانون الأول/ديسمبر الماضي أن التغير المناخي سيشكل «عاملًا مُضاعفًا للتهديدات» في منطقة تعاني أصلًا من إجهاد حاد بيئيًا واقتصاديًا.

ويتوقع أن تعاني جزر المحيط الهادئ من ارتفاع مستويات المحيط وتدفئة المياه البحرية، وزيادة مستويات الحمض وتغيُّر أنماط المطر وساعات ضوء الشمس، وتزايُد الغطاء الغَيمي (السحب)، وتبدّل أنماط الدوران المحيطي لكتلة المياه والدوران الجوي، وتفاقم الكوارث الطبيعية كالأعاصير الاستوائية والقحط.

ويرجح التقرير أن تنعكس هذه التأثيرات سلبًا على المحاصيل الزراعية والسمكية جرّاء اختلال التوازن الطبيعي للبحار وارتفاع حرارة الجو وتآكل التربة وانتشار الآفات والأمراض النباتية، واشتداد وتيرة حرائق الغابات.

تحديات العمل الإنساني

ومع اتخاذ التغير المناخي وما يرافقه من ظاهرة احتباس حراري وكوارث طبيعية، بات على المنظمات الدولية وعلى العاملين في مجالات الإغاثة والدعم الإنساني وضع خطط وقاية واستجابة للأيام السوداء. ولأن التدخل المبكر يساهم في الحد من الأضرار، وجدت هذه المنظمات نفسها في سباق مع الوقت للعمل على الحد من المخاطر الكامنة وراء التغير المناخي من خلال برامج تعنى بالفئات الأكثر هشاشة وعرضة للخطر.

من هنا، شرعت المؤسسات الأممية بتمويل برامج بالتعاون مع المجتمعات المحلية من أجل تحضير السكان للاستجابة لسيناريوهات كارثية، كتخزين مياه الأمطار للري وإنشاء السدود وإعادة تأهيل الأراضي الزراعية والتشجير والحد من انبعاث الغازات الدفيئة المسببة للاحتباس الحراري.

من جهة ثانية، بدأت الوكالات المعنية بالبحث عن مساكن بديلة للمدن الساحلية والجزر المهددة بالزوال نتيجة التغير المناخي، ووضع أسس قانونية للجوء النازحين والهاربين من وطأة الكوارث الطبيعية على دولهم. هكذا، بات لزامًا على العاملين في المجال الإنساني سد ثغراتهم في المجالات العلمية واستنهاض الحكومات المعنية من أجل البحث عن سبل الوقاية من الكوارث الطبيعية أو احتوائها سريعًا، وذلك بوضع برامج توعية للحد من الخسائر التي يمكن تجنبها إن في الأرواح أو في الأرزاق، وتأمين الموارد الكافية للاستجابة في مرحلة ما بعد الكارثة.

ويمكن للتقصير في التواصل أو لبعض الجهل في مجالي العمل العلمي والإنساني أن يحد من فهم العاملين في المجال الإنساني لماهية التغير المناخي وتأثيراتها المباشرة على عمل هؤلاء العاملين.

فقراء العالم يقضون غرقًا؟

يشرح العلماء أن ذوبان الجليد هو من الظواهر المتوقعة نتيجة الاحتباس الحراري وسيؤدي إلى ارتفاع مستوى سطح البحار، وغرق الجزر المنخفضة والمدن الساحلية، وازدياد الفيضانات، وموجات جفاف وتصحر في مساحات كبيرة من الأرض، وتفاقم العواصف والأعاصير، وانتشار الأمراض المعدية، وانقراض العديد من الكائنات الحية ووقوع كوارث زراعية وفقدان بعض المحاصيل.

وتوقع باحثون فنلنديون فقدان الكرة الأرضية للكثير من الأراضي الزراعية وخصوصًا في الدول الآسيوية، وذلك جراء ارتفاع منسوب البحر بمعدل يتراوح بين نصف متر ومتر واحد بنهاية القرن الجاري، مما يثبت مخاوف المنظمات الإنسانية عن احتمال قضاء العديد من سكان المدن الساحلية والجزر غرقًا ■

بالأرقام

2012

هو تاريخ انتهاء المهلة الزمنية التي حددها بروتوكول كيوتو، وهو الشق التنفيذي لاتفاقية الأمم المتحدة المبدئية بشأن التغير المناخي، لكي تخفض 38 دولة من انبعاثات الغازات المسببة للاحتباس الحراري.

0,87

درجة مئوية هو معدل ارتفاع حرارة سطح الأرض في المئة سنة المنصرمة جراء ظاهرة الاحتباس الحراري.

75

سم هو معدل ارتفاع مستوى المحيطات والبحار بسبب ذوبان الجليد القطبي.

17

في المئة هي حصة الصين من الغازات الملوثة والمسببة للاحتباس الحراري. وتليها في المرتبة الثانية الولايات المتحدة الأميركية بـ16٪، والاتحاد الأوروبي بـ11٪ ثم اندونيسيا بـ6٪ والهند بـ5٪.

REUTERS

AFP

د. عصام خليفة*

هل سيكون القرن الحادي والعشرون قرن صراعات حولها

حروب المياه تهدد الأمن العالمي

لطالما عانى الإنسان من مصاعب جمة لتأمين حاجته من المياه لكننا اليوم نشهد أشكالا جديدة من الصراعات مع الطبيعة والمعارك بين الدول من أجل السيطرة على الموارد المائية.

تظهر الأرقام العالمية أن قارة آسيا التي تضم 61٪ من عدد سكان العالم لا تملك سوى 36٪ من المياه القابلة للاستعمال، أي أن هناك مليارا وسبعمائة مليون نسمة في العالم يفتقرون للمياه العذبة، وهم بذلك تحت خط الفقر المائي المحدد في الأمم المتحدة (ألف متر مكعب للشخص الواحد في السنة).. أما أوروبا التي تضم 12٪ من سكان العالم فهي لا تملك أكثر من 8٪ من مياه الأرض، بينما أميركا الجنوبية التي يعيش عليها 6٪ من سكان الأرض تضم 26٪ من الثروات الهيدرولوجية في العالم.

ومن المتوقع في العام 2025 أن يصبح عدد المحتاجين للمياه العذبة أكثر من مليارين وأربعمئة مليون نسمة ليصبح عدد سكان العالم الذين يعانون من إرهاق مائي 35٪ فيما هم اليوم 30,5٪. فقد ازداد عدد سكان العالم بـ 2,7 بين عامي 1950 و2009 بينما ازداد استهلاك العالم من المياه بـ 3,2. وتشير الدراسات إلى أن الذي يولد في البلدان المتقدمة يستهلك ما بين 30 إلى 50 مرّة من المياه أكثر من الشخص الذي يعيش في الدول النامية.

لذلك يطرح بعض الخبراء تساؤلا جوهريا: «هل سيكون القرن الحادي والعشرون قرن الصراعات المفتوحة للحصول على الثروة المائية في بعض مناطق العالم وبخاصة العالم العربي؟»

منذ العام 1985 توقعت دوائر المخابرات الأميركية أن الخلاف على المياه سيكون سببًا أساسيا في الصراعات المسلحة، على الأقل في عشر مناطق مختلفة من العالم منها آسيا وأفريقيا وبخاصة في الشرق الأوسط. هذه التوقعات أكدتها لاحقًا تصريحات مسؤولين كبار في منظمة الأمم المتحدة في طليعتهم والي نداو Wally N'Dow السكرتير العام للمؤتمر الثاني حول المدن الذي نظمته المنظمة العام 1996، حينها قال: «المياه يمكن أن تكون سببًا لاندلاع الصراعات كما كان البترول في الماضي».

أما إسماعيل سراج الدين، نائب رئيس البنك الدولي لقضايا التنمية المستدامة في حينه فقد صرح في كواليس مؤتمر عقد في ستوكهولم في آب/ أغسطس من العام 1995: «إن الحروب في القرن القادم ستكون حول المياه».

وفي تقرير لليونسكو ثمة تحليل لـ 1831 حالة نزاع بين الدول حول قضايا المياه خلال الخمسين سنة الأخيرة، والأكثرية الساحقة في هذه النزاعات حُلت بالتعاون والتفاهم، ولقد استمر الخلاف في 507 حالات بينها 37 حالة أدت إلى استعمال العنف، والعنف العسكري لم يبرز إلا 21 مرة ثماني عشرة منها بين إسرائيل وجيرانها.

إن ظلم الناس ومنعهم من الاستفادة من المياه يؤدي حتما إلى العنف والصراع، من هنا أهمية تنمية الوعي بأهمية وقيمة المياه وعدم ربط موضوع المياه بقضايا سياسية أخرى والعمل قدر الإمكان على استبعاد تفرد الدول بفرض حلول لا تكون ملائمة لكل الأطراف المعنية، وفي كل الأحوال يجب تعزيز احترام القانون الدولي المتعلق بالمياه ولا سيما الاتفاق الذي أقرته الأمم المتحدة عام 1997.

* أستاذ التاريخ في الجامعة اللبنانية ومتخصص في شؤون المياه

أسباب نقص المياه في العالم العربي

تعود المشاكل المتعددة التي تواجه المياه إلى عوامل داخلية خاصة بالعالم العربي وعوامل خارجية عامة.

فعلى الصعيد الديموغرافي، ارتفع عدد سكان العالم العربي من 205 ملايين في العام 1985 إلى 300 مليون في العام 2000، ومن المتوقع أن يصل عدد السكان إلى 600 مليون في العام 2035. وإذا كان العجز المائي عام 2000 يقارب 127 مليار متر مكعب، فمن المتوقع أن يصل هذا العجز إلى 176 مليار متر مكعب في العام 2030 مع الافتراض أن استهلاك الفرد أقل من 150 مترا مكعبا في بعض الدول العربية.

وإذا حاولنا أن نعرف نسبة المياه الحلوة والمتجددة في السنة لكل شخص (بالأمتار المكعبة) لأمكننا الوصول إلى الجدول رقم 2، حيث نلاحظ بوضوح أن كمية المياه المتجددة تتضاءل بالنسبة للفرد الواحد وباستمرار، وإذا كان هناك تراجع في كمية الأمطار الهاطلة فمن المرجح أن السبب الرئيسي لذلك ليس فقط العامل المناخي، بقدر ما هو مرتبط بتزايد عدد السكان بالوقت •••

نفسه الذي لا تتغير فيه مصادر المياه المتجددة.

ويذكر تقرير التنمية العربية للعام 2009 أنه بين عامي 1996 و 2006 استخدمت المنطقة العربية 71 في المائة من مياهها مقارنة بمعدل عالمي لا يزيد على 6,3 في المائة، واستُهلك أكثر من ثلث هذه الكمية في قطاع الزراعة.

إن البلدان العربية تغرق الواحدة تلو الأخرى إلى ما دون خط الفقر المائي. فقد ارتفع عدد هذه البلدان الفقيرة مائيا من ثلاثة (الأردن والبحرين والكويت) في العام 1955 إلى أحد عشر في العام 1990 (بإضافة الأراضي الفلسطينية المحتلة والإمارات وتونس والجزائر والسعودية والصومال وقطر واليمن) ويتوقع أن تنضم سبعة بلدان أخرى إلى هذه القائمة بحلول العام 2025.

إلى ذلك ثمة مشاكل اقتصادية واجتماعية وبيئية تعاني منها مجمل الدول العربية في مجال المياه، حيث يسود هدر المياه وسوء استخدامها وغياب الترشيد. أما على صعيد المشاكل الطبيعية فيلاحظ الباحثون وجود ثلاث فئات متباينة بين الدول العربية:

الفئة الأولى: وتشمل السودان، لبنان، الجزائر، المغرب، والعراق حيث تزيد كميات المياه المتاحة لديها عن حجم استهلاكها.

الفئة الثانية: تشمل مصر وسوريا، حيث يتساوى إلى حد ما إجمالي مواردها المائية مع احتياجاتها.

الفئة الثالثة: وهي الدول التي تعاني من عجز مائي حقيقي وتقسم إلى مجموعتين:

– الأردن وفلسطين وتتمتع بموارد مائية طبيعية محدودة إلا أنها تعاني من عجز مائي نتيجة لاستنزاف هذه الموارد واستغلال إسرائيل للجزء الأكبر منها.

– دول الخليج التي تفتقر أصلا للموارد المائية الطبيعية وتعتمد اعتمادًا كليًا على تغطية احتياجاتها المائية من خلال التحلية.

وعلى صعيد آخر ثمة موجة من الجفاف والتصحر تتمثل بانخفاض كميات الأمطار وانخفاض منسوب مياه الأنهار والمياه الجوفية، وكان من نتائج ذلك نزوح أعداد كبيرة من السكان من المناطق المتضررة. وهنا تجدر الإشارة إلى أن التصحر يحوّل سنويا 195 ألف هكتار من الأراضي الزراعية العربية إلى مناطق صحراوية بحسب بعض الدراسات.

الخلاف حول موارد المياه

إذا كانت بعض الهضاب والمناطق ضمن الدولة الإسرائيلية تصل فيها الأمطار من 600 إلى 800 ملم سنويا

كميات المياه المطلوبة لعام 2030 والمتوفر منها والعجز*

	الكمية المطلوبة عام 1985	الكمية المطلوبة عام 2000	الكمية المطلوبة عام 2030
لأغراض الشرب	7,2 مليار م^3	20 مليار م^3	متوقع 60 مليار م^3
لأغراض الصناعة	1,3 مليار م^3	4,5 مليار م^3	متوقع 22,5 مليار م^3
لأغراض الزراعة	---	320 مليار م^3	متوقع 419 مليار م^3
مقدار العجز بالمياه	---	97 مليار م^3	متوقع 127 مليار م^3
عدد السكان المتوقع في الوطن العربي وحجم الطلب على الماء	1985	2000	2030
	180 مليون نسمة	313 مليون نسمة	745 مليون نسمة
	173 مليار م^3	347,5 مليار م^3	508,5 مليار م^3

* هذه الأرقام تفترض معدل استهلاك الفرد بـ 150 لترا في اليوم

REUTERS

فإن أكثر من نصف مساحة إسرائيل لا تتخطى فيها الأمطار عتبة المائة ملم سنويا، وهي أولت منذ نشأتها اهتماما خاصا بتأمين مصادر المياه حتى يذهب بعض الباحثين إلى ربط حروب إسرائيل بقضية المياه.

وتشير الإحصائيات المتوفرة إلى أن أكثر من 57٪ من استهلاك المياه في إسرائيل يأتي من خارج حدود العام 1967. وبحسب تقارير شركة "ميكوروث" فإن العجز السنوي المائي في إسرائيل منذ العام 1998 لا يقل عن 400 مليون متر مكعب ويزيد على 494 مليون متر مكعب منذ العام 2005. ولقد أكدت اتفاقية لاهاي الرابعة لعام 1907 «أن كل دولة تحتل أراضي دول أو شعوب أخرى لا يحق لها استغلال موارد هذه الأراضي على حساب الشعوب الأصلية ولحساب شعب الدولة المحتلة». وبحسب إحصائيات العام 2007 فإن مليونا وسبعمائة ألف إسرائيلي كان استهلاك الشخص منهم من المياه يزيد أربع مرات أكثر عن استهلاك الشخص الفلسطيني في الضفة الغربية.

ويبدو أن 56٪ من استهلاك إسرائيل من المياه تذهب للزراعة (عام 2006)، علما أن هذا القطاع يؤمن 2٪ من الناتج المحلي الإجمالي ولا يشغل أكثر من 2,5٪ من اليد العاملة الإسرائيلية، بينما الزراعة تؤمن للفلسطينيين 10٪ من الناتج المحلي الإجمالي ويعمل فيها 14٪ من اليد العاملة الفلسطينية (2002).

أما بالنسبة لغزة فإن استخراج المياه أدى إلى هبوط مستوى المياه الحلوة إلى 13 مترا تحت مستوى سطح البحر، الأمر الذي أدى إلى اختلاط المياه المالحة بالمياه الحلوة.

في المقابل طورت إسرائيل شبكة من مصانع تحلية المياه على امتداد الشواطئ البحرية، الأمر الذي يؤمن لها 315 مليون متر مكعب عام 2010. وهي افتتحت أهم معمل تحلية للمياه في العالم في عسقلان العام 2005 إذ ينتج سنويا 100 مليون متر مكعب من المياه المحلاة، في الوقت الذي تطمح فيه لأن تؤمن 25٪ من حاجاتها في حدود العام 2020 وهي تعمل على زيادة المتساقطات المطرية من 13 إلى 18٪.

المياه العذبة المتجددة المتاحة بالمتر المكعب لكل ساكن سنويا

	1950	1990	2002	2025
الشرق الأدنى				
المملكة العربية السعودية	1421	160	118	70
اليمن	1205	240	223	137
الأردن	1382	260	179	146
إسرائيل	1258	470	276	270
عمان	4232	1330	388	295
إيران	6247	2080	1955	976
سوريا	15362	3733	1622	1450
تركيا	9280	–	3439	2258
أفريقيا				
ليبيا	583	160	113	47
تونس	1105	530	482	288
بوروندي	1466	660	566	292
الجزائر	1691	750	478	313
كينيا	4020	590	585	602
مصر	2661	1070	859	607
جنوب أفريقيا	3654	1420	1154	698
إثيوبيا	5967	2360	1749	807
ناميبيا	89041	35120	10211	–
الأميركيتان				
بربادوس	237	170	192	169
هايتي	3373		1723	879
الولايات المتحدة (48 ولاية في الجنوب)	15702	9916	7407	6950
كندا	21181	104353	94353	79731
آسيا				
سنغافورة	587	220	149	142
الصين	5047	2424	2259	1891
تايلاند	8946	3220	3003	2591
أوزبكستان	20526		5494	3551
أوروبا				
مالطة	96	80	79	71
أسبانيا	3974	2832	2794	2520

المصدر: Frédéric Lasserre et Luc Descroix Eaux et Territoires: Tensions, coopérations et Géopolitiques de l'eau, PUQ, 2003, pp.28 ; Aquastat (FAO), 2003.

أزمات دجلة والفرات

لقد خططت الحكومة التركية لإنشاء 25 سدا بطاقة 60 كيلومترا مكعبا مع 19 محطة كهربائية تنتج 7400 ميغاواط، وري 1,7 مليون هكتار (1,08 مليون في حوض الفرات و 600 ألف هكتار في حوض دجلة) وهذا يتطلب 22 كيلومترا مكعبا من الماء سنويا. وكان من المفترض أن تنتهي هذه الإنشاءات في العام 2005 لكنها أجلت للعام 2029 بسبب المصاعب التي صادفتها في التمويل. هذا الوضع أدى إلى مصاعب كبرى لكل من سوريا والعراق، إن لجهة كمية المياه المتدفقة (500 متر مكعب/ثانية) أو لجهة تزايد ملوحة التربة. لذلك فلقد تناقصت حصة سوريا من 22 مليار متر مكعب من الفرات إلى 13 مليار متر مكعب سنويا. وإذا استكمل مشروع الغاب التركي فقد لا يصل إلى سوريا من مياه الفرات أكثر من 299 متر مكعب/ ثانية، أي 60٪ من الكمية المتفق عليها حاليا (500 متر مكعب/ ثانية). في المقابل سيتم تخفيض 66٪ من الكمية المتدفقة من نهر دجلة وحينها لن يستطيع العراق الاستفادة إلا من 20٪ من حصته من مياه الفرات. وسيصبح مجرى هذا النهر جافا عند التقائه بنهر دجلة في القرنة.

وبعد مفاوضات صعبة وافقت تركيا على تمرير 500 متر مكعب / ثانية على الحدود التركية السورية. بالمقابل اتفقت سوريا مع العراق على إعطائه 58٪ من هذه الكمية بينما تحتفظ سوريا بـ 42٪ منها. وفي العام 2008 حصل اتفاق ثلاثي (تركي – سوري - عراقي) على إنشاء معهد مؤلف من 18 خبيرا مشتركا لدرس الحلول الممكنة بين الدول الثلاث حول تقاسم المياه.

قضية مياه النيل

وبالرغم من أن مصر والسودان تتمتعان بوضع قانوني قوي فإن أكثرية الدول المجاورة للنيل تسعى لإعادة النظر في تقاسم مياه النهر، وهذه الدول تسعى لري ما يزيد على 4,5 مليون هكتار على مدى العشر سنوات أو الخمس عشرة سنة المقبلة.

هذا الوضع قد يؤدي إلى تراجع حصة مصر من مياه النيل بـ 25 مليار متر مكعب.

إن رعاية بيئة حوض النيل والاهتمام بتنظيفها وتنظيمها وتبادل الخبرات والمعلومات بشكل دوري وتطبيق روحية الاتفاقية الدولية حول المياه (1997) هي السبيل لتخطي الصراعات بين الدول ذات الصلة بمياه أطول أنهار العالم ■

بسبب الهجرة نحو المدن والزراعات المستنزفة للموارد

أزمة المياه: المعضلة الكبرى لليمن اليوم

يقع اليمن في منطقة جافة تفتقر إلى الأنهار وتقل فيها الأمطار صيفا وتكاد تنعدم شتاء، مما يجعل البلاد أمام تحد كبير في الحصول على المياه، لاسيما أن البلاد تعاني من انفجار سكاني يقدر بـ 23 مليون نسمة، يتوقع الخبراء أنه سيصل إلى 45 مليون نسمة، خلال العقود الثلاثة المقبلة، مما يشكل عائقا أمام التنمية ويستنفد موارد البلاد خاصة المائية.

ICRC

مع أن اليمن يعتبر الأفقر في الشرق الأوسط من حيث الموارد المدرة للدخل ومن الدول العشر في العالم التي تعاني من شح في المياه حيث لا يتعدى نصيب الفرد أكثر من 125 مترا مكعبا في السنة بالمقارنة مع الدول المجاورة فإن الحكومة اليمنية تجد نفسها تواجه أكبر تحد لم تشهد مثيلا له من قبل.

ففي السنوات الأخيرة بدأت معظم المحافظات تعاني من شح غير مسبوق بالمياه. وبعد أن كانت محافظات **تعز ولحج والبيضاء وعمران وحجة** هي أكثر المحافظات التي تعاني من أزمة مياه خانقة، بدأت تظهر بوادر الأزمة الآن في **صنعاء** العاصمة وفي محافظات **أبين والضالع**. لكن المخيف أكثر هو بدء ظهور بوادر نضوب في المحافظات الزراعية مثل **ذمار** التي تعتبر سلة غذاء اليمن.

ومع الانتشار الواسع في زراعة أشجار القات، وهو المحصول غير المجدي الذي يستهلك 60 في المائة من المياه الجوفية بحسب الخبراء، ستواجه الحكومة صعوبة بالغة الشدة في إقناع المزارعين باقتلاع هذه الشجرة إذا ما أرادت الحفاظ على مياهها الجوفية. فأينما تنتشر زراعة القات توجد أزمة مياه خانقة لاسيما في المحافظات التي ذكرناها سابقا. ويستنفد القات جيوب معظم اليمنيين لشراء أوراقه اليانعة التي يبدأون بتناولها بعد الغداء اعتقادا منهم أنها تمنحهم الطاقة والكيف.

القات وراء أزمة المياه في عمران

بلغت أزمة المياه ذروتها في محافظة **عمران** (150 كيلومترا شمال العاصمة **صنعاء**)، لاسيما في ريفها الذي يتكون من جبال وهضاب منحدرة شبه جافة ومفترقات جبال ضيقة لا ترقى إلى مستوى الوديان.

رغم أن هذه المحافظة شهيرة بزراعة القات فإن المزارعين في بعض الأرياف لم يعد يكفيهم الماء للشرب واحتياجات المنازل، فهم يعتمدون على عيون وآبار صغيرة تغذيها مياه الأمطار التي يقدر مستوى هطولها السنوي في المحافظة بـ 250 مليمترا وهو أقل المستويات في اليمن مقارنة مثلا بمحافظة **إب** التي تحصل على 1200 مليمتر بحسب **بشير النصيري** منسق لجنة حوض **عمران**.

وتعتبر قرية **هجرة المنتصر**، أكبر مثال على معاناة الناس من ندرة المياه إن لم نقل من انعدامها. في هذه القرية تعيش أسرة كاملة على 20

محمود السامعي*

REUTERS

لترا من المياه في اليوم. وقد نشبت خلافات وصراعات بين أبناء القرية بسبب شح المياه. ومن أجل تحاشي الخلافات التي تنشب على بئر أو عين ماء صغيرة أسفل القرية التي يقطنها حوالي 700 شخص، توصل أهل القرية مع شيخهم إلى تعيين مسؤول للبئر ليشرف على تمويل الأهالي بالماء.

يقول **علي المنتصري** الذي عيّن أمينا على البئر: «**تحصل كل أسرة مكونة من ثلاثة أفراد على 20 لترا من الماء يوميا. وهذا بالكاد يكفي للشرب وطهي قليل من الطعام أما أغراض الحمام فيقضي الناس حاجتهم في العراء**».

ويضيف **علي**، الذي يحمل بيده كشفا بأسماء العائلات التي تتناوب على حصول الماء من تلك البئر: «**هذا الكشف الذي بيدي يوضح الأسماء التي عليها الدور في الحصول على الماء**». وهذا الكشف مبنى على اتفاق بين أهالي القرية والشيخ بحيث إذا ما نقضه أحد منهم بأخذ كمية من المياه تزيد عما هو محدد له، يدفع غرامة مالية قدرها خمسة آلاف ريال.

ويقول **بشير النصيري** وهو منسق لجنة حوض عمران التي شكلت في العام 2008 من أجل الحفاظ على ما تبقى من مياه هذا الحوض: «**السبب الرئيسي لشح المياه في عمران هو الحفر العشوائي للآبار التي وصل عددها إلى 3 آلاف بئر بسبب ري أشجار القات**».

ويضيف **النصيري**: «نقل الماء من حوض عمران إلى محافظة حجة **المجاورة بوايت**** **يتسع لمترين مكعبين من الماء ويباع بـ 20 ألف ريال، لري أشجار القات من الأسباب الرئيسية وراء نضوب مياه الحوض**».

ويقول **أشرف الإرياني** وهو خبير مياه يمني يعمل مع منظمة ألمانية تدعم مشاريع وإدارة المياه في اليمن: «**لقد أصبح حوض عمران في مرحلة حرجة حيث نضبت المياه في بعض المناطق التي تقع على الحوض. وهو ما حذر الخبراء الألمان منه في الماضي**»، داعيا للعمل على الحفاظ على ما تبقى من مياه الحوض.

في تعز مشاكل من نوع آخر

تقع **تعز** في المنطقة الوسطى من اليمن، وتشتهر بزراعة محصول المانجو والموز وهما المحصولان المدللان اللذان يحتاجان إلى كميات كبيرة من المياه لإنضاج الثمار.

لكن مع بدء الجفاف في المحافظة، بدأت زراعة الموز تتلاشى حتى أن بعض الأرياف اقتلعتها واستبدلتها بأشجار القات التي تدر لها مردودا ماليا أكثر من الموز وتستهلك مياها أقل.

بدأت أزمة المياه في تعز في السبعينيات في ●●●

* صحافي متخصص في شؤون المياه والشؤون الإنسانية

** الوايت: مصطلح شعبي يطلق على السيارة التي تنقل المياه.

•••

الأرياف وفي الثمانينيات في الحضر. لكن معاناة سكان الأرياف، وخاصة النساء والأطفال المعنيين بجلب الماء من مسافات بعيدة وشاقة أكثر من معاناة سكان المدن.

ICRC

فتيات «سامع تعز» يصعدن الجبل الوعر وهن يحملن آنيات المياه

بشرى عقلان فتاة تقطن في مديرية **سامع** على مسافة كيلومتر من مصدر المياه. وهي تهبط الجبل مع زميلتها **حنان حزام** حاملتين كل منهما إناء بلاستيكيا أصفر يتسع لعشرين لترا من المياه ويسمى «دبة» باللهجة الشعبية. ثم تصعد الفتاتان الجبل وفوق رأس كل منهما هذا الإناء المملوء لتواصلا الصعود على طريق شديد الانحدار وهو الطريق الرئيسي الذي شق للسيارات ويمر بالقرب من منزليهما.

تقول **بشرى**: «**مشكلتنا الرئيسية في هذه البلاد هي الماء والطريق الذي يوصلنا بمنابعه. هناك من نساء القرية من كسرت ساقها أو ذراعها أثناء هبوطها وصعودها هذا الجبل الذي يخلو من طريق قدم إلى منبع الماء في أسفله**».

أما في المدينة فتجد الأطفال يتعقبون أوقات الصلاة في المساجد لملء أواني مياه يصطحبونها من منازلهم، من صنابير الوضوء، لأن المساجد تغلق في غير أوقات الصلاة. كذلك تجد الأطفال يتعقبون كل «وايت» يصب الماء في خزان أحد المنازل المجاورة ومعهم أوان تتسع لخمسة أو عشرة لترات لالتقاط ما تسرب من الماء أثناء إفراغ الحمولة.

عن سبب الأزمة وحلولها في مدينة **تعز** يقول مدير عام المؤسسة المحلية للمياه والصرف الصحي **فؤاد الجابري**: «**السبب الرئيسي لأزمة المياه في المدينة هو الانفجار السكاني الكبير والتوسع العمراني الأفقي. فتعز تعتمد على 17 ألف متر مكعب يوميا تستقيها من ثلاثة أحواض هي الضباب والحيمة والحوبان. وهذه الكمية لا تغطي المدينة المكتظة بالسكان والتي تحتاج إلى 56 ألف متر مكعب يوميا**».

وعن الحلول يقول **الجابري**: «**إن الحكومة تنوي بناء محطة تحلية في الفترة بين العامين 2013 و 2015 في ساحل مدينة المخاء التي تبعد ساعتين عن تعز على أن تزود هذه المحطة مدينة تعز بحوالي 50 ألف متر مكعب يوميا، ما يعني رفع حصة الفرد في تعز من 30 لترا في اليوم حاليا إلى 60 لترا**».

وفي مديرية **القبيطة** المجاورة لمدينة **تعز** بلغت أزمة المياه ذروتها حيث هجر سكان قرية كاملة منازلهم بسبب الجفاف وانتقلوا إلى المدن. ويقول **باسم القباطي** أحد أبناء المنطقة ويعمل فني تصميم برامج في **صنعاء**: «**من هجر منزله في هذه القرية لا يعود إليه حتى أثناء الإجازة الصيفية بسبب الجفاف**».

عاصمة مهددة بالجفاف

أما عاصمة اليمن **صنعاء**، التي بدأت تشهد شحا في المياه منذ منتصف التسعينيات وبلغت ذروتها حاليا بسبب الهجرة المحلية إليها من كل محافظات الجمهورية، أصبح سكانها المقدرون بأكثر من ثلاثة ملايين نسمة يعانون من أزمة مياه كبيرة.

فمعظم السكان لا يحصلون على ما يكفيهم من المياه العمومية التي تصل إلى منازلهم مرة كل ثمانية أيام، ما دفع عددا كبيرا منهم إلى شراء خزانات المياه التي تنقلها الشاحنات. وقد ارتفع سعر الوايت هذا العام إلى 1500 ريال بزيادة 300 ريال عن العام الماضي، وهو بالكاد يكفي أسرة يمنية لأسبوع. وهذا يعني أن الحصول على الماء في صنعاء بالنسبة لمحدودي الدخل معضلة مادية حيث يكلف الماء الموظف العادي ربع راتبه تقريبا.

ويقول وزير المياه والبيئة **عبد الرحمن فضل الإرياني** عن خطط الحكومة لمواجهة الأزمة «**إن هناك خطة مستقبلية لتحلية مياه البحر للمناطق المجاورة وإعادة تدوير المياه واستيراد القات من إثيوبيا لإجبار المزارعين على الكف عن زراعته تدريجيا**».

وفي نهاية التسعينيات كان قد حذر خبراء مياه من نضوب حوض صنعاء في العام 2005 بسبب إهدار مياه الحوض في ري أشجار القات، وحسب تقديرات منظمة التعاون الألمانية GTZ فإن هناك 13 ألف وخمسمائة بئر في حوض صنعاء، معظمها حفرت عشوائيا من قبل المزارعين ولاسيما مزارعي القات. ويقول كبير خبراء مشروع إدارة الموارد المائية في المنظمة الدكتور **جيرهارد ليشتنثايلر**: «**إن الحلول الممكنة لهذه المشكلة تصنف إلى نوعين: قصيرة الأمد وهي دعم الفلاحين بأنظمة ري حديثة وفي الوقت نفسه مساعدة الفلاحين في تسويق منتجاتهم ليكونوا قادرين على تطوير معيشتهم دون التوسع في زراعة مساحات شاسعة ومن ثم توفير المياه وكلفة التشغيل**»

أما الحلول طويلة الأجل فهي «الانتقال من الاعتماد الكبير على زراعة لن تكفيها المياه إلى البحث عن أسباب رزق أخرى والتنوع الاقتصادي»، ويحث على حصاد مياه الأمطار واستغلال مياه أسطح المنازل ■

حاورته: **زينب غصن**

علاء الأسواني يتحسر على قاهرة الأمس

في هذا الحوار يستعرض الكاتب المصري علاء الأسواني رؤيته للأسباب التي دفعت بالكثير من المصريين إلى هجرة قراهم والانتقال نحو المدينة وما أحدثه ذلك من تغييرات في أنماط الحياة في المدن ولاسيما القاهرة.

AFP

ثقافة العشوائيات تنعكس على المدينة

لا يمكن أن تذكر الكاتب المصري **علاء الأسواني** إلا ويأتي اسم روايته الأبرز «**عمارة يعقوبيان**» كلازمة للحديث عنه. وتكمن أهمية الرواية بالنسبة لكثير من النقاد والقراء، في أنها ترسم لحقبة من تاريخ مصر، وللتغييرات الاجتماعية التي شهدتها مدينة القاهرة وسكانها وعاداتها كنتيجة لتغيرات سياسية واقتصادية طالت البلد كله. والأسواني، طبيب الأسنان الذي اعترف العالم به روائيا بعد صدورها في العام 2002، يبدو اليوم أقرب إلى الناقد لأحوال مجتمعه، الناظر والمحلل للأسباب الكامنة وراء هذه التغيرات.

فظاهرة الهجرة من الريف إلى المدن «**ظاهرة خطيرة لها تداعيات سيئة جدا**» بحسب الدكتور **علاء الأسواني**. وخطورة الموضوع لا تكمن فقط برأيه في أنها «**تؤدي إلى إتلاف الحياة الزراعية في** •••

الريف والتأثير سلبا على الزراعة، كما هي الحال في مصر اليوم، بل أن الخطورة أيضا هي في أنها تؤدي إلى نشوء مناطق عشوائية في المدن وحولها ما جعل أن ثلث سكان القاهرة اليوم يعيشون في عشوائيات».

هذا الواقع يفرض على سكانه بحسب **الأسواني** «**ثقافة أنك خارج إطار خدمات الدولة واحترامها**». فغالبية الخدمات من مياه وكهرباء تصل إلى هذه المناطق بطرق غير رسمية. وسكانها دائما مهددون بإزالة العالم الذي يعيشون فيه، من دون أن ننسى معدلات البطالة العالية التي تسيطر على سكان العشوائيات.

لكن **الأسواني**، الذي تربى في حي «**غاردن سيتي**» الراقي ومازال يقيم ويعمل فيه، يرى أن تغيّر المدينة لا يقتصر فقط على نشوء الأحياء العشوائية بل هو يطال الأحياء الأصيلة في داخلها أيضا. فكما البشر، لكل حي من أحياء المدينة ملامح تميزه. يقول **الأسواني** «**هناك ملامح اجتماعية لأي حي. فحي غاردن سيتي هو أحد الأحياء الأرستقراطية المصرية القديمة، وحي السيدة زينب ملامحه شعبية. وهي ملامح تطورت على مدى فترات طويلة من الزمن وليس فجأة. والهجرات الحديثة، إن لم تؤد إلى عشوائيات، لكنها تؤدي إلى إنشاء أحياء بلا ملامح**».

ففي الأحياء القديمة والأصيلة غالبا ما يكون السكان والعائلات معروفين لبعضهم البعض، وسكنهم فيها لا يرتبط فقط بمستوى الدخل الذي يحرزونه، بل بالعلاقة التي تربطهم بالمكان وأهله. وهذا الأمر يفرض بحسب **الأسواني** «**أنواعا من السلوك ليست موجودة في الأحياء الحديثة الناشئة نتيجة لترييف المدن، والتي غالبا ما تكون أحياء بلا تاريخ أو ملامح، حيث علاقات الناس مختلفة، ومعدلات الجريمة مرتفعة..**» لكن **الأسواني** لا يحمل مسؤولية ذلك إلى المهاجرين «**إن قرار الهجرة غالبا ما يكون قرارا اضطراريا بسبب انسداد أفق الرزق في الريف والسعي لحياة أفضل...**»

فعائلة **الأسواني** نفسه هاجرت من صعيد مصر في أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي بسبب الأزمة المالية التي ضربت العالم في حينها.

ويلاحظ **الأسواني** التغيير الذي طرأ على الحي الذي تربى وعاش فيه، «**غاردن سيتي**». «**هذا الحي أنشأته شركة بلجيكية في العام 1904 وغلبت عليه في حينها قصور الطبقة الأرستقراطية وأفراد الأسرة المالكة. حتى أسماء الشوارع فيه كانت مرتبطة بالشركة: فشارع ديوان الموظفين كان خاصا بديوان الموظفين بالشركة، وشارع معمل السكر كان لوجود معمل**

IORC

علاء الأسواني في سطور

طبيب أسنان وأديب مصري ولد في 26 أيار/مايو1957. أتم دراسته الثانوية في مدرسة الليسيه الفرنسية بالقاهرة. كان أبوه محاميا وكاتبا روائيا أيضا. حصل الأسواني على شهادة الماجستير في طب الأسنان من الولايات المتحدة الأمريكية في شيكاغو في جامعة إلينوي في العام 1985 هو لا يزال يمارس الطب في عيادته الخاصة بحي غاردن سيتي بالقاهرة. درس الأدب الإسباني في مدريد ويكتب القصة القصيرة والرواية. من مؤلفاته الأدبية: أوراق عصام عبد العاطي (رواية1990)، الذي اقترب ورأى (مجموعة قصصية 1990)، جمعية منتظري الزعيم (مجموعة قصصية 1998)، عمارة يعقوبيان (رواية 2002)، نيران صديقة (رواية ومجموعة قصصية2004 و2008)، شيكاغو (رواية2007).

كما يكتب الأسواني مقالات شهرية وأسبوعية في عدد من الصحف المصرية. حصل الأسواني على عدد من الجوائز العربية والدولية فكان أول مصري يحصل على جائزة برونو كرايسكي من النمسا والتي فاز بها الزعيم الإفريقي نيلسون مانديلا وتلاه السياسي الفلسطيني الراحل فيصل الحسيني. كما حاز جائزة باشرحيل للرواية العربية وجائزة كفافي للنبوغ الأدبي من الحكومة اليونانية والجائزة الكبرى للرواية من مهرجان تولون في فرنسا في العام 2006 وجائزة غرينزاني كافور للرواية للأدب المترجم في إيطاليا وغيرها، كما تم اختياره بواسطة جريدة التايمز البريطانية، كواحد من أهم خمسين روائيا في العالم تمت ترجمة أعمالهم إلى اللغة الإنجليزية خلال الخمسين عاما الماضية. وهو اختير أيضا من معرض الكتاب الدولي في باريس كواحد من أهم ثلاثين روائيا غير فرنسي في العالم وتم تكريمه في شهر آذار/مارس من هذا العام. حصل على جائزة الإنجاز من جامعة إلينوي في شيكاغو حيث كانت دراسته وسيتم تسليم الجائزة في تشرين الأول/أكتوبر 2010.

سكر يخص الشركة.. وظل هذا الحي أرستقراطيا حتى السبعينيات حيث كان يسكن فيه الأكثر تعليما وثروة في مصر. اليوم تغير الحال إذ نضبت الثروة فلم تعد تجد فيه إلا الأكثر تعليما فقط. ونشأت طبقة أخرى من أصحاب الثروات الحديثة كونت ثروتها بداية من أواخر الثمانينيات والتسعينيات لكنها تفضل العيش في أحياء جديدة تتماشى أكثر مع ذوقها. وأصبح هناك أحياء لأصحاب الثروات الكبيرة وأخرى لأصحاب الثروات المتوسطة».

هذا التغيير يدفع الأسواني نفسه إلى ترك حيه قريبا «**سيظل مكتبي هنا لكني لن أسكن فيه بسبب سوء التنظيم والزحام الذي سيطر عليه**».

هذا الزحام، والذي ينطبق على المدينة ككل وليس فقط على حي بعينه يؤثر بحسب الأسواني على نفسية الناس وسلوكهم. يقول د. علاء «**في علم النفس هناك تفسير لسلوك الزحام الذي يفرض نوعا من التنافس بدون رحمة. وهو أمر يمكن ملاحظته لدى سائقي السيارات...**»

ويشعر **الأسواني** بالمرارة لأن القيم والسلوكيات التي كانت راسخة في المدينة الصغيرة أو القرية لم تعد موجودة. وهو أمر لا ينطبق على القاهرة فقط بل هي ظاهرة في العالم كله. يقول **الأسواني**: «**عندما أكون من سكان حي معروفة أسره، فإنني أمثل في أي تصرف أو سلوك أسلكه، إيجابيا كان أم سلبيا، عائلتي. لكن مع سيطرة الزحام وافتقاد الأحياء لخصوصيتها تصبح مجرد شخص مجهول ضمن الجماعة وتستطيع أن تفعل أي شيء من دون أن يكون لذلك أثر معنوي على جماعتك. وهو ما عبر عنه الفيلسوف الألماني نيتشه حين قال: «إني أكره المدن الكبرى لأنها مليئة بالمتهتكين»**، أي الأشخاص الذين لا يردعهم أي شيء عن قضاء مصلحتهم. كما أن المفكر الألماني **أوزوالد شبانغلر (Oswald Spengler) ميّز بين قيم المدينة الكبرى وقيم القرية معتبرا أن «القيمة الأساسية في القرية هي الحكمة، أما المدينة الكبرى فلا تعرف الحكمة بل تعرف الذكاء النفعي»**. وهي قيمة سلبية في المدينة بحسب **الأسواني** لأنه ذكاء متحرر من أي قيم ويضع الناس في سباق نحو تحقيق المصالح. وكان مقال للأسواني نشر في جريدة «الشروق» المصرية بعنوان «مديح العدالة» تحدث فيه عن العدالة كعقد اجتماعي تقوم على أساسه العلاقة بين البشر. وهو ما بدأت تفتقده بعض المجتمعات لاسيما في المدن الكبرى. يقول **الأسواني**: «**الأساس هو أن الأسباب تؤدي إلى النتائج فإن كنت ذكيا ومجتهدا فلا بد أن تكون النتيجة أن تنجح في الجامعة أو في عملك وتتقدم. لكن فقدان هذه العلاقة يؤدي إلى تفكيك أمر مهم في علاقة الناس ببعضهم مع ما يستتبع ذلك من فوضى وجريمة.. والجريمة هي سلوك اجتماعي يمكن محاربتها بالتمسك بالأخلاق..**» ■

لكل حي من أحياء المدينة ملامح تميزه وكثيرا ما تؤدي الهجرات الحديثة إلى نشوء أحياء بلا ملامح

♦

يفرض الازدحام في المدينة سلوكا يقوم على التنافس بدون رحمة

♦

منّا من رحل هانئًا بما بقي من فيء بيروت وشجرها

دلال البزري*

تنهّدت أمل عميقًا وقالت معزّية نفسها: «كان أبي يجلس في هذه الشرفة طويلا عند ساعات الصباح الأولى، يشرب القهوة ويستمتع بهذه الأشجار المائلة إليه. كانت سعادته بظلالها لا توصف، يشعر وكأنه يناجيها ويكاد يلمسها. رحلَ أبي عن هذه الدنيا من دون أن يعلم بأن هذه الأشجار سوف تزول قريبا، هي أيضا، وسوف تقف مكانها عمارة... رحل من دون غصّة».

ماذا؟ على هذه البقعة الضيقة؟ عمارة في هذه النزْلة الوعرة؟ «نعم، نعم... ألم ترَيْ البناية التي طلعت في نهاية الحيّ؟ في نهاية النزْلة نفسها؟». الخبر حقيقي، الأشجار القليلة سوف تختفي، وترتفع مكانها عمارة أضيق من غيرها، تصطفّ معها على جوانب النزلة، الضيّقة بدورها. وسوف تكون بالطبع مرتفعة، بما يسمح، بعد زوال الأشجار طبعا، باحتجاب كل الفضاء والشمس والقمر عن الشرفة الساحرة، إذ لم يعد جائزًا إعفاء حي من أحياء بيروت من النجاح الباهر، وتلك الحرية المطلقة لمقاوليها وسماسرتها ومصارفها والمضاربين بعقاراتها.

رحلَ والد أمل وفي قلبه فرحة صباحية، تناغم وألفة مع ما تبقى من صور المدينة التي أحبها وهو يرتاد شوارعها مشيًا على الأقدام. قطعة نادرة من النداوة الخضراء، القليل الذي «صَمَد» في وجه عشوائيات ناطحات سحاب. «نيّالو...!»، مات قبل أن تنقضّ المعاول على ركنه الشعري الصباحي، استمتع بشيء من بيروت؛ أما العائشون فيا لخيبة روحهم وشاعريتهم.

المشهد الثاني: من يوميات بيروت العادية، نحن عالقون في زحمة خانقة. ولكن ليست ككل زحمة. الدراجات النارية، التي نتحمّل كل مخالفاتها وخطورتها تضامنا مع سائقيها المستعجلين المكابدين، أبناء الشعب الفقراء... الدراجات النارية التي وجدت لتجنّب زحمة السير، والتحرّر من القوانين، أكثر فأكثر من القوانين، كانت العشرات منها عالقة، مثلها مثل السيارات؛ وسائقوها لا يصدقون، ولا نحن، راكبات إحدى السيارات، نصدق، بأن تعلق أيضا الدراجة النارية في الزحمة! كان شارع من تلك الشوارع المعهودة في بيروت: بمحاذاة الرصيف، الضيق، كان يقف صفّان من السيارات، فيما لا يتسع الطريق لأكثر من سيارة متوسطة الحجم. ولكن شطارة ما من سائق إحدى «الرانجات»، جعلته يعتقد بأنه قادر على عبوره. انتهى به الأمر في آخر الطريق إلى أن خاض مناورة تسلل هنا وهناك، محسوبة بالسنتيمتر. وببطء راكم عدد السيارات الزاحفة خلفها... ويمكن تصور الباقي؛ خصوصا مشهد الدراجات النارية، العالقة بدورها. الكل متسمر بانتظار أن «تظْمت الرانج» من علقتها.

في السيارة، كانت ثالثتنا والدتي، نحملها إلى طوارئ أحد المستشفيات، وهي في حال من التنفس المتعثر. «الرانجات» متكاثرة في بيروت... تهجس بها أمي ليل نهار، محمّلة إياها تبعات التلوث والزحمة وانتفاخ «السنوبيزم» (التكبّر) اللبناني. أن لا تستطيع الوصول إلى الطوارئ بسبب «الرانج» بالذات، وفوق ذلك الدراجات النارية، «الشعبية» المفترض أن تتعاطف مع ركابها، فهذا من «الكبائر»، من «علامات الساعة»... حضر الموت في هذه اللحظة بالذات، وكان تعليقها على ورطة الزحمة، وتأخّرها على النجاة في الطوارئ: «الحمد للّه أنني ذاهبة عن هذه الدنيا! ولن أشاهد ما سيصل بنا الحال إليه...!».

* كاتبة لبنانية

** المقالة نشرت في ملحق "نوافذ" الثقافي في جريدة "المستقبل" اللبنانية 27 حزيران/يونيو 2010

هي تنبئ بالمزيد من البشاعة الآتية على المدينة، بعدما عاصرتها وهي خضراء ندية، مرحبة، تحتفي شوارعها بالقادم إليها؛ ثم تقارن، «هل تذكرين عندما كنا نمشي من الكولا (منطقة في بيروت) إلى المدينة الرياضية تحت ظلال الأشجار؟ وكم كانت السيارات قليلة، نسمع أصوات محركاتها من بعيد؟ انظري اليوم... أهلا وسهلا إلى «كاراج بيروت» !».

رجلٌ رحل عن هذه الدنيا وهو سعيد لأن زاويته اليومية الخضراء، الناجية حتى الآن من حمى العشوائيات الفاخرة، لن تمسّها المعاول والسقالات؛ وامرأة تحضّر نفسها للغياب، سعيدة هي أيضا، لكونها سوف ترحل قبل أن تصل المدينة إلى قاع انحدارها العمراني. الاثنان عرفا في عمريهما الطويلين مدينة أخرى، شوارع أخرى، أشجارا، هواء، ظلالا، بيوت القرميد، روائح البحر والفتنة والياسمين... والاثنان، بفرحتهما القاسية، يتحولان إلى شهود على موت مدينتهما. شهادة ذات صوت خاص، صوت من هو على تماس مع الموت، صاحب الصدى الأبعد. الموت يعطي شهادته، التي لا تحتاج إلى مقارنة مع صوت الإعلام والمؤتمرات الصحافية والمسؤولين والجمعيات المهتمة بالبيئة والتراث المعماري. ولا وجه شبه أيضا مع أنين المواطن ولا تسليمه ولا، ربما، نسيانه لشأن مدينته. المواطن يلهث الآن خلف حمى الحديد والباطون؛ يشتري السيارة والشقة بإحساس قوي بالانتصار على الدهر، إن استطاع. أما صوته فمجيّر للاصطفاف. من يهتم بهذا التفصيل من بين التفاصيل غير المجدية، غير المربحة، إلا المقبلون على الموت؟ الذين أخذوا المسافة اللازمة من الحياة، فكانت أحكامهم واضحة وجليّة؟

وبفضل هذه المسافة بالذات يحفّزون الأحياء على تخيّل موتهم: ما هي الكلمات التي سوف أقولها، أنا العائش(ة) حتى الآن، عندما أقترب من الموت؟ كيف ستكون أحوال المدينة ساعتئذ؟ بعد عشرة أعوام، أو عشرين، أو ثلاثين؟ هل هناك من بوسعه أن يتصور؟ هل يمكن تخيّل المدينة التي سوف يورثها إلى ابنائه وأحفاده؟ الحيرة الأخرى: هل سيكون أصلا من سكانها؟ أم يكون وقتها من بين ثلثي سكان المدينة المطرودين إلى ضواحيها، التي ارتدَت بدورها نفس لباس المدينة من الحديد والباطون؟ حسنا، كان حظه كبيرا وحظي بشقة في المدينة؛ فكيف تكون إذن هذه المدينة؟

عمارات نهضت، ولو على بضعة أمتار مربعة، في كل ركن من الأركان التي لم تعرف معاول الباطون قيمتها، ملتصقة ببعضها، الواحدة تحجب نوافذ الأخريات، ولو كانت أكثر حداثة... أراض مشْبعة بالباطون العالي العشوائي، وطرقات مكتظة بالسيارات المتوقّفة أو المتنقّلة، زاد عددها عن اليوم بطبيعة الحال. ثم المواسم الصيفية، والسياح والمهاجرون... تصوّر! سوف تكون مدينة هاجسها الموت، لا روح فيها ولا أي شاعرية ممكنة. سوف يتحول سكان المدينة إلى أشباه مشلولين بين شققهم، التي لا تطل إلا على بعضها، وبين سياراتهم، التي يعلقون بها يوميا من أجل بضعة أمتار، في مدينة لا يزيد قطرها على الكيلومترين أو الثلاثة.

لنقل مثلا أن سكان المدينة هم الآن مليون ونصف، فسوف يكون عددهم بعد عقدين ثلاثة ملايين على الأقل: وتقارير خبراء الأرض تقول بأن المدينة ستكون عرْضة لزلزال بدرجة 7 على قياس ريخْتر. أما تاريخ هذا الزلزال فيمتدّ من الآن وحتى مائة عام مقبلة.

الآن تصور أن الزلزال حصل في أول عقود السنوات المائة. هل يمكن ساعتئذ تصور عدد ضحاياه؟ بل هل يمكن تصور عدد الضحايا لو حصل الزلزال الآن، في هذه اللحظة؟ في هايتي قتل 250 ألف شخص، وفي التشيلي قتل 800 شخص على أثر زلزال العام الجاري. فهل نحزر من الآن كم سوف يكون عدد ضحايا المكدّسين في المدينة الإسمنتية الحديدية؟ ما سعة المساحة الخضراء التي سوف تكون متوفّرة للهروب من الزلزال؟ كم من الأشخاص سوف يحتضرون تحت الركام لأيام وأيام؟ كم من الحجارة سوف يكون على عمال الإنقاذ، إن وصلوا، انتشالها قبل إنقاذ ناجٍ مطمور تحتها؟ كم من السيارات سوف تطْحنها الحجارة؟ كم من الحديد والباطون...؟ كم...؟ وكم....؟ ■

رسم: براق ريما

العنف في المناطق الحضرية والمدرسية

سميّة بلطيفة*

عادة ما نشاهد على شاشات التلفزيون ومواقع الإنترنت واليوتيوب وغيرها من وسائل الاتصال الحديثة حوادث قتل مروعة استخدمت فيها الأسلحة النارية بأيدي أطفال وشباب على أعتاب المستقبل. وأكثر ما يجلب اهتمامنا ويستفز حواسنا ويصدمنا: كيف يمكن لشخص في ريعان الشباب أن يطلق النار على أقرانه؟ هكذا، فجأة ومن دون سابق إنذار، قد تتحول باحة مدرسة أو جامعة أو حديقة إلى ساحة قتال بكل ما تتركه وراءها من ضحايا ومعاناة جسدية ونفسية.

* مسؤولة النشر والإعلام بالبعثة الإقليمية للجنة الدولية في تونس

ما أكثر ما نشهد هذا النوع من الحوادث في المسلسلات، ليس فقط الأجنبية منها والأميركية على وجه الخصوص، وإنما أيضا بعض المسلسلات العربية أو المدبلجة للغة العربية. زد على كل ذلك الانتشار الواسع لألعاب الفيديو التي تستهلك من قبل مختلف الشرائح العمرية وخاصة صغار السن منهم، وأكثرها رواجا تلك التي تعنى بالحرب والقتل والعنف والدمار.

وبالرغم من أن للعنف، سواء كان معنويا أو ماديا، حضورا هاما في مجتمعاتنا العربية والأجنبية على حد سواء، إلا أننا ننسى أو نتناسى مدى خطورة تأثير وسائل الاتصال الحديثة وألعاب الفيديو على النشء. ذلك أننا في خضم مشاغل الحياة اليومية، قد لا نقف وقفة الناقد المتأمل لمثل حالات العنف هذه المنتشرة في المناطق الحضرية والمؤسسات التعليمية. ورغم أن لكل منا دورا على وجه البسيطة، إلا أن للمثقفين وأهل الفن على اختلاف أشكال تعبيرهم، نصيب الأسد في هذا المجال، نظرا لقدرتهم على رؤية التفاصيل وتحليلها في ظل قراءة نقدية بناءة.

الصورة والسلاح

رغم اختلاف أشكال التعبيرالثقافية، فإن «الفن السابع» يكاد يكون الأكثر انتشارا وقبولا من طرف المشاهدين على اختلاف انتماءاتهم. وقد اكتسبت الأفلام الوثائقية في العشرية الأخيرة صيتا لدى المتفرجين لما فيها من نقل لأحداث واقعية برؤية نقدية مدعمة بشواهد حية. ويعتبر **مايكل مور** Michael Moore من أهم المخرجين الذين عرفوا بقدرتهم على تقصي الحقائق وبسطها أمام المشاهد حتى يتمكن من رؤية الصورة كاملة دون تعديلات.

لقد تطرق مور في شريطه «**بولينغ لأجل كولومباين**» (Bowling for Colombine) إلى إشكالية رواج الأسلحة النارية في الولايات المتحدة الأميركية ومدى ارتباط ذلك بانتشار الجريمة خاصة في المدارس.

انطلق مخرج هذا الشريط الحائز على جوائز عدة أهمها «السعفة الذهبية» لمهرجان «كان» السينمائي (2002) من واقع المجتمع الذي ترعرع فيه. لقد عاش المخرج في ولاية ميتشيغان، أو كما يطلق عليها سكانها «جنة الأسلحة». ومن المفارقات أنه كان عضوا في «جمعية الرماية الوطنية الأمريكية» (National Rifle Association) وهي منظمة يمينية محافظة تدافع عن حق امتلاك الأمريكيين للسلاح.

تنطلق أحداث الفيلم في سرد أطوار فاجعة هزت سكان مدينة **كولومباين** بولاية «كولورادو» صبيحة يوم 20 نيسان/ أبريل سنة 1999 حيث قتل اثنا عشر طالبا ومدرسهم عندما قام كل من **إريك هاريس وديلان كليبود** بفتح النار عشوائيا على رفاقهما في المدرسة ثم انتحرا. أطلق الشابان قرابة 900 رصاصة في مقهى ومكتبة المدرسة. إن عنوان الفيلم، «**بولينغ لأجل كولمباين**»، يعيدنا إلى آخر شيء قام به إيريك وديلان قبل إطلاق النار وهو لعب البولينغ من الساعة الثانية بعد الظهر حتى الساعة السادسة صباحا.

إن **مايكل مور** ما انفك يطرح التساؤل تلو الآخر حول يسر عملية الحصول على سلاح في بلده. وقد ضرب لنا مثالا في أول الشريط عندما قصد بنكا لفتح حساب جديد. والمدهش في الأمر أن البنك يقدم لكل عميل جديد هدية تتمثل في سلاح ناري. في نهاية الأمر يمكنك شراء أي سلاح تختاره من المحلات التجارية الكبرى. أما الذخيرة فبوسعك اقتناؤها من عند الحلاق. لقد أصبح السلاح سلعة عادية تباع وتشترى كالمأكولات والمشروبات.

وفي نفس الإطار ساق لنا المخرج موقفا كوميديا لأحد الممثلين الأمريكيين متحدثا عن القتل فقال: «**لو كان سعر الرصاصة الواحدة**

خمسة آلاف دولار، لكنت فكرت مرتين قبل استعمالها». هذه الجملة قد تضحك المتفرج وقد تدعه في حيرة من أمره. فلو كان السلاح والذخيرة يباعان بأسعار خيالية لما انتشرت بهذه السهولة. وهنا يستغرب **مايكل مور** ويتساءل عن سر حب وولع بني وطنه بالأسلحة. وتوصل من خلال شهادات مختلف الشخصيات في الفيلم إلى إجماع حول أمرين لا ثالث لهما: الأول يقول بحق اكتساب السلاح. وهو حق مكفول بمقتضى الفصل الثاني من الدستور الأميركي. أما الثاني فمتعلق بالخوف: «إن الرجل الذي لا يحمل سلاحا، هو رجل عاجز عن تحمل مسؤولية حماية نفسه وعائلته وممتلكاته ووطنه».

ثقافة الخوف

لقد اجتمعت شخصيات الفيلم على أن الخوف عامل محوري هام في حياة الأميركيين. إن «ثقافة الخوف» تسيطر على المجتمع الأميركي وهي ثقافة تكرسها أجهزة الإعلام يوما بعد يوم. ويدعم مور رأيه هذا فيأتي على ذكر برامج الواقع «Reality show» حول المطاردات البوليسية للمجرمين والأمثلة على ذلك كثيرة. هذا الإعلام الذي سلط الأضواء الكاشفة على حادثة كولومباين في حين لم يحظ ضحايا القصف على مدينة صربية، في اليوم نفسه وقبل ساعة من كولمباين، إلا بالقليل من الاهتمام.

حاول **مايكل مور** أن يبين للرأي العام، بالتعاون مع ضحيتين من مدرسة **كولومباين**، خطورة الأسلحة التي استعملها كل من **إريك وديلان** وذلك بمحاولة زيارة رئيس الشركة المعنية بتوزيع الأسلحة. باءت محاولاته بالفشل فما كان منه إلا أن دعا لمؤتمر صحفي، اضطر معه الممثلون الإعلاميون إلى الاستجابة لطلبه وسحب السلاح المذكور من المحلات التجارية.

كان المخرج حريصا أيضا على لقاء **شارلتون هيستون** Charlton Heston الممثل الأميركي الذي كان يعتبر من أشد المساندين لحق امتلاك السلاح. أراد المخرج من خلال هذا اللقاء أن يبين **لهيستون** أن رواج الأسلحة أردى طفلة قتيلة على يد صبي لم تتعد سنه الست سنوات. لم يجد حديث **مور** صدى لدى الممثل القدير والرئيس السابق لجمعية الرماية الوطنية الأميركية فلم يكن منه إلا أن غادر المكان تاركا وراءه صورة الطفلة.

خلاصة القول، إن ما حدث في معهد **كولومباين** ليس إلا «عالما مصغّرا» قابلا للانتشار والانفجار على مستوى أوسع وفي أماكن مختلفة من العالم. وأن المسؤولية لاتقع فقط على الدول في منعها وإنما تقع أيضا على عاتق كل فرد منا حتى نخلص إلى عالم ينبذ العنف. حينها فقط يمكننا أن ندندن أغنية **لويس أرمسترونغ** Louis Armstrong «**يا له من عالم جميل**» (What A Wonderful World) ■

REUTERS

صورة التقطتها كاميرا المراقبة في مدرسة «كولومباين» للشابين «إريك هاريس» و «ديلان كليبود»

محيي الدين اللبّاد

وداعًا

«**عندما** كنت صغيرا، كنا نسكن بقرب جامع السلطان حسن، وكان الترام الذي يمر في الشارع الكبير، عندما يدور بجوار الجامع، يصدر صوتا عظيما. وكان سائق الترام عندي –أيامها– أعظم وأهم رجل في العالم، لأنه يقود هذا الوحش العملاق المهيب. وظللت أتمنى أن أصبح سائق ترام عندما أكبر. وكبرت لكنني لم أتمكن من أن أكون سائق ترام، بل ولم أستطع حتى أن أتعلم قيادة السيارات، لكني تعلمت الرسم، وأصبحت مجرد رسام. ووجدت –والحمد للّه– أن هذا العمل يتيح لي فرصة مدهشة، وهي أني أستطيع أن أرسم نفسي سائق ترام كما تمنيت طويلا...» لكن الحقيقة التي لم يقلها محيي الدين اللبّاد، تواضعا، هي أنه لم يكتف برسم نفسه بل قاد بالفعل ترامًا من نوع آخر. فاللباد إنسان من طينة مميزة، هو ذلك النوع من البشر الذي يرى العالم بعين مختلفة ومتميزة عن أعين الناس جميعا. حسه كفنان كان يجعله يلاحظ في أبسط أمور الحياة، وأضعف مخلوقاتها، جمالا تفوت الكثيرين ملاحظته. وهنا تكمن الحقيقة الأخرى في حياة اللباد وهي أنه لم يتوقف يوما عن رؤية العالم واكتشافه بعيني الطفل. فالإبداع بالنسبة إليه هو أن تقول وتكتب وترسم وتصمم وتصوغ بصريا ما يعبر عنك وحدك وعما في داخلك وليس عما هو متوقع منك. الصدق مع الذات وإطلاق الحرية للإبداع والتفكير والنقد هو الطريق الوحيد الذي يقود إلى الأصالة فيما تفعل ويجعلك بذلك تبني ما يستند إليه كل من يأتي من بعدك.

وهنا تتجلى عظمة اللباد، لمن كان يعرفه، فهو كان «أسطى» في عمله وفي حياته. أسطى لأنه الأستاذ الكريم الذي لا يبخل على تلاميذه ومريديه بل يعطيهم زبدة معرفته التي راكمها على طول سنوات العمر، مجنبهم بذلك المرور بالطريق الصعب. وهؤلاء المريدون كانوا بشرا من أنواع وأعمار وجنسيات كثيرة يقصدونه تماما كركاب الترام، لنقلهم من مكان إلى آخر،

كاريكاتير من كتاب «100 رسم وأكثر».. وصفحة من كشكول الرسام الفائز بالتفاحة الذهبية لبينالي «براتسلافا» لكتب الأطفال 1989

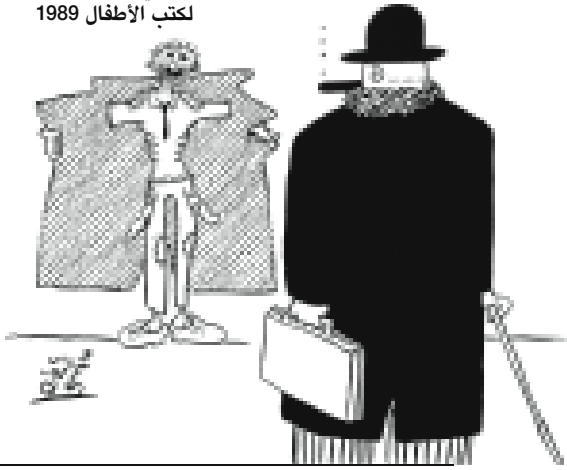

لكن اللبّاد كان قادرا على نقلهم من حالة معرفية إلى أخرى أكثر عمقا وإدراكا لما يحيطهم، كما لأنفسهم ولقدراتهم، ويمنحهم بذلك أجنحة للابتكار والتحليق أبعد منه ونحو عوالم جديدة. تكتشف كلما قلّبت في دفتر لحظات معرفتك بهذا الإنسان، أن حلمه القديم الذي عبر عنه في كتابه الجميل «كشكول الرسام»، ما هو إلا انعكاس لشخصيته: رجل يعرف قدر نفسه، لا يهاب المسؤولية، يبحث عن الجمال في التفاصيل، والدقة والإتقان والكمال في كل ما يعمل، لكنه يفضل أن يبقى مستترا بين جنبات ذلك «الوحش العملاق المهيب» غير عابئ بالشهرة، متمسكا بالجذور والأرض من دون أن يمنعه ذلك من الحركة والتنقل بين عوالم مختلفة واكتساب معارف جديدة ثم هضمها وإنتاج أعمال متميزة ومبتكرة تحاكي روح العصر. فسائق الترام يشعر مع الحركة بنبضات الأرض من تحته وما تحويه من كنوز كثيرة غير مكشوفة، هكذا كان اللبّاد يشعر بما تحتويه بيئته الشرقية من تراث ثقافي غني، بدءا من اللغة والحكاوي والسير والرسوم الشعبية وصولا إلى الخط بأشكاله المختلفة مصدر إلهامه وفنه أكان للرسوم أو التصميم أو الأفكار أو المشاريع الكثيرة التي ساهم في إطلاقها ومنها مشروع مجلة «الإنساني». فقبل اثني عشر عاما عندما طلبت منه اللجنة الدولية أن يضع التصميم الأساس لمجلة «الإنساني» وحتى آخر عدد عمل عليه، كان يرى في هذه المجلة تجسيدا لمشروعه الشخصي: أن يكتب

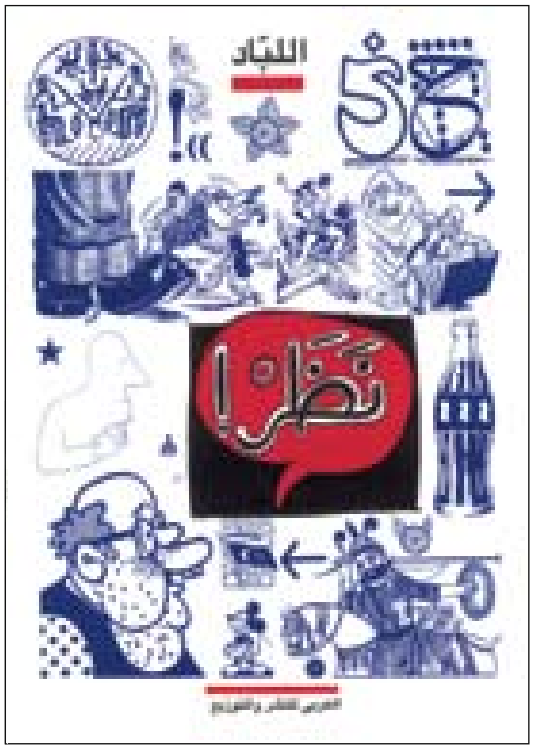

غلاف الألبوم الأول من سلسلة «نظر» التي جمعت مقالاته عن الفنون البصرية المحلية والعالمية

وينشر للعالم العربي وبلغته وثقافته، عنه وعن ناسه ولناسه، بحيث لا يكون الحديث عن العمل «الإنساني» أو القوانين الدولية كأنها مواضيع لا تمت لواقع المنطقة بصلة، بل تبرز المجلة الارتباط الوثيق بين هذه المفاهيم العالمية والإنسانية وبين حياة وبيئة كل شخص من أبناء المنطقة. وعلى طول السنوات الماضية كان اللباد، عونا لكل من عمل في تحرير «الإنساني»، فهو لم يكن مجرد مسؤول فني يهتم بالشكل فقط، لكنه ساهم أيضا في كل عدد بالارتقاء بمحتواه المكتوب من خلال فكرة أو لمسة أضافها على عنوان أو جملة فيه.

في الرابع من أيلول / سبتمبر الماضي فقدت «الإنساني» أباها الروحي لكنها لم تفقد روحه، بل إنها كما غيرها من ركاب الترام المحظوظين صعدت معه في رحلته، فاستفادت وتحققت على مدى اثني عشر عامًا، وستظل ممتنة له ومسترشدة بتلك التجربة في رحلتها المستمرة.

محيي الدين اللباد.. وداعا

«الإنساني»

غلافا العدد الأول والعدد الثامن والأربعين من «الإنساني» وغلاف التقويم/الكتاب «سير ورسوم شعبية».. ورسم أصلي مصري تحت الزجاج من رسوم الوشم الشعبية في النصف الأول من القرن العشرين، ومنشورة في الكتاب.

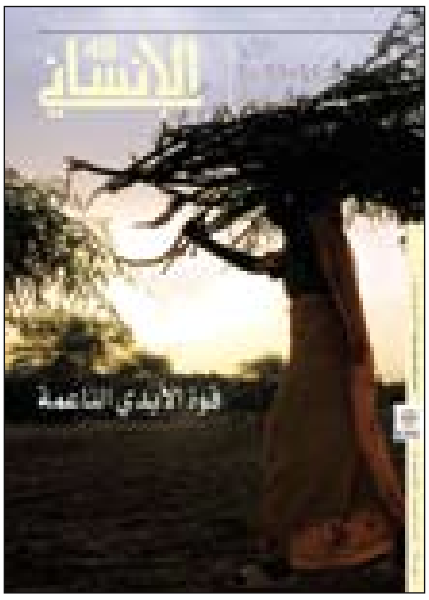

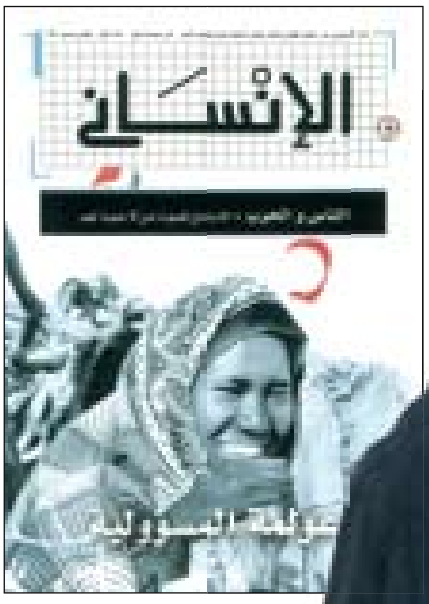

اللجنة الدولية للصليب الأحمر تجمع شمل أم

ماريا سيسيليا جوان*

نظرت من الشباك وتنهدت وعلت على وجهها بسمة هادئة وكأنها تبتسم لنفسها. كانت الشمس قد أشرقت على غزة حين أنهت الحاجة **معزز الدبة** حزم أمتعتها في حقيبة سفرها الصغيرة. فقد اختفت في لحظة واحدة كل مشاعر الريب والقلق التي لم تفارقها طوال السنين، عندما جاءت ابنة أخيها **نعمة** وقالت لها: «**عمتي... جماعة الصليب الأحمر وصلوا وهم ينتظرونك في السيارة. إنهم مستعدون لنقلك إلى عمان اليوم لتلتقي بصباح**».

لقد عاشت الحاجة **معزز** أيامًا عصيبة خلال هذه السنوات الأخيرة. ابنتها الوحيدة **صباح** كانت لا تزال في سن المراهقة حين غادرت منزل أمها في غزة وانتقلت مع والدها إلى عمّان حيث تزوجت وهي في الثامنة عشرة من عمرها.

في البداية، كانت الحاجة **معزز** ترى ابنتها كل سنة، فإما أن تسافر هي إلى عمان أو تأتي ابنتها إلى غزة. ولكن السلطات الإسرائيلية أوقفت في العام 2000 هذه الزيارات إثر اندلاع الانتفاضة الثانية.

تدهور الصحة

أصبحت صحة الحاجة **معزز** واهنة وهي التي تجاوز عمرها الثمانين ولم تعد قادرة على العيش وحدها. فانتقلت من منزلها لتعيش مع أخيها علي ولكن هذا الأخير توفي بعد سنة. وخلال السنوات العشر الماضية، كان اتصالها الوحيد بابنتها عبر الهاتف. وتقول الحاجة **معزز**: «**كانت صحتي تتدهور من سيئ إلى أسوأ، وأردت أن أقضي آخر أيام عمري وسط أصوات أحفادي، لن أموت هنيئة إذا لم أكن بجانبهم وبجانب ابنتي الحبيبة**».

وبعد فشل محاولات عدة قامت بها **صباح** للحصول على تصريح لأمها بمغادرة **غزة**، لجأت في النهاية إلى اللجنة الدولية في **عمّان** واتصلت بمندوبيها في شباط/ فبراير 2010 وطلبت منهم مساعدتها في جمع شملها بوالدتها في أقرب وقت ممكن.

وافقت اللجنة الدولية على تقديم كل الطلبات اللازمة للحصول على التصريح وتنسيق عملية نقل الحاجة **معزز** مع السلطات الفلسطينية والإسرائيلية والأردنية. وتوضح **فيرونيكا هينز غوليوزا**، منسقة اللجنة الدولية لخدمات البحث عن المفقودين في

ICRC

تمكنت اللجنة الدولية مؤخرًا، في إطار جهودها المستمرة الرامية إلى إعادة الروابط العائلية بين الأقارب الذين تشتتهم النزاعات، من نقل أم طاعنة في السن من غزة لتعيش مع ابنتها في عمان، في الأردن، بعد عشر سنوات من البعد.

* Maria Cecilia Goin مسؤولة الإعلام في بعثة اللجنة الدولية في القدس.

القدس أن «**الأشخاص المسنون والأطفال يحظون بالأولوية لدى اللجنة الدولية التي تبذل كل ما في وسعها لجمع شمل الذين تشتتهم النزاعات**».

رحلة مضنية

بعد صعودها إلى السيارة، كان على الحاجة **معزز** أن تواجه بعزم ودون تذمر رحلة مضنية تدوم يوما كاملا ويزيد من تعقيداتها الواقع السياسي والأوضاع الأمنية في المنطقة. فكان عليها أن تمر أولًا عبر معبر **إيريز** من **غزة** إلى داخل إسرائيل، وكان يعني ذلك أن يدفعها موظف ميداني من اللجنة الدولية في كرسيها المتنقل على طول ممر أمني يصل إلى كيلومتر ونصف الكيلومتر وأن تخضع الحاجة **معزز** لتفتيش باليد عند الحاجز الإسرائيلي، ثم تعود إلى سيارة تابعة للجنة الدولية للسفر إلى **أريحا** من أجل إنهاء آخر الإجراءات الإدارية، الفلسطينية والإسرائيلية، قبل الوصول إلى **جسر الملك حسين** (جسر اللنبي سابقًا) الذي يصل الضفة الغربية بالأردن.

تقول **آن سوفي بوني** مندوبة اللجنة الدولية التي رافقت الحاجة **معزز** في هذه الرحلة المثيرة، «**إن الحاجة العجوز لم تستطع إخفاء دهشتها أمام كل ما كانت تراه على طول الطريق**».

وبينما كانت تعبر **جسر الملك حسين**، وقبل دقائق من لقائها ابنتها، رفعت الحاجة **معزز** يدها وبحركات متأنية، رتبت شالها على رأسها وقالت بصوت منخفض وعينين تغمرهما السعادة: «**لقد حلمت بهذا اليوم في كل دقيقة وكل ثانية من السنوات العشر الماضية**».

لقاء مؤثر

بعد أن اجتازوا الجسر أخيرًا، وهنت عزيمتها وشعرت بالتعب وبدأت يداها ترتجفان. فها هي تحاول أن تلمح ابنتها وسط الجمع المحتشد وفجأة رأتها تركض متلهفة نحو سيارة اللجنة الدولية. شدت **صباح** على يد أمها وقبلتها وقالت والدمع يملأ عينيها: «**كنت أشعر بقلق كبير وكأن شيئًا يقبض قلبي وما أن رأيت السيارة تعبر الجسر، لم أعد أستطع الانتظار لأضمها إلى صدري**».

حين وصلوا إلى منزل **صباح**، كان كل أولادها وأحفادها ينتظرون في الخارج وقد ارتدوا أجمل ملابسهم للاحتفال بهذه اللحظة الرائعة.

تقول **صباح**: «**لدي عشرة أولاد وأربعة أحفاد. ولم ترَ أمي إلا خمسة من أولادي ولا حفيدًا واحدًا من أحفادي. أن أكون بجانبها يعني لي ملك الدنيا كلها. فمن الآن وصاعدًا لن أقضي ولا حتى ثانية واحدة بعيدًا عنها**» ■

وابنتها بعد عشر سنوات..

ICRC

حلم اللقاء يتحقق

برنامج تأهيل السجينات في اليمن...

نافذة على المستقبل

عدنان حزام*

كريمة (اسم مستعار) نزيلة في أحد السجون المركزية منذ أكثر من خمس سنوات لكنها تتطلع للحياة وللغد. رغم أنه محكوم عليها بالإعدام، فقد أتقنت عددا من الحرف اليدوية من خلال برنامج تأهيل السجينات الذي تدعمه بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في اليمن منذ عشر سنوات. وتقول **كريمة** وهي تنظر إلى صورة أولادها والشوق إليهم باد عليها: إن برنامج تأهيل السجينات كان البداية التي أعطتها الأمل، فقد تمكنت من القراءة والكتابة وأجادت العديد من الحرف اليدوية.

وترى **كريمة** في هذا البرنامج أداة لتخفيف العبء النفسي عن السجينات من خلال شغل أوقات فراغهن خلال النهار بالتدريب والمشغولات اليدوية مثل الخياطة والتطريز. ويضرب **بكريمة** المثل في الصبر والتفاني والتفاؤل، فعلى الرغم من انه محكوم عليها بالإعدام إلا أنها تأمل أن يعاد النظر في الحكم.

وتشرح مسئولة دائرة الحماية في بعثة اللجنة الدولية في **صنعاء نوران حواس** «**أن البرنامج يطبق في عشرة سجون مركزية في البلاد ويركز على تأهيل السجينات على القراءة والكتابة والمشغولات اليدوية إلى**

* مسئول الإعلام والنشر في بعثة اللجنة الدولية في صنعاء

ICRC

تدعم اللجنة الدولية للصليب الأحمر في مناطق عدة من العالم برامج غير تقليدية ومنها برنامج تأهيل للسجينات في اليمن يساعدهن على الاندماج في مجتمعاتهن بعد تأدية فترات أحكامهن.

♦ يهدف البرنامج إلى كسر عزلة السجينات وتعزيز إمكانية إعادة إدماجهن في المجتمع في المستقبل

جانب الكمبيوتر. ويهدف البرنامج الذي يجري تنفيذه بالتعاون مع الهلال الأحمر اليمني إلى كسر عزلة السجينات وتعزيز إمكانية إعادة إدماجهن في المجتمع في المستقبل بعد إطلاق سراحهن من خلال دورات الحياكة والخياطة وفصول محو الأمية».

تقول **وفاء الشميري**، إحدى متطوعات الهلال الأحمر اليمني التي تعمل في البرنامج في سجن **تعز** المركزي: «**إن البرنامج يقدم خدماته لجميع السجينات دون أي تمييز ويتم استغلال الفعاليات والمعارض لتسويق منتجات السجينات من الأعمال اليدوية ليرجع ذلك عليهن بمردود مادي يساعدهن على تلبية بعض احتياجاتهن. ويتم تقديم محاضرات دينية وصحية وثقافية للسجينات وإقامة مسابقات ثقافية ودينية لهن**».

وتشير المدرسات العاملات في البرنامج في السجن المركزي **بتعز** إلى بعض الصعوبات التي واجهتهن في البداية: «**واجهتنا صعوبات كثيرة حتى من أهالينا ومن اللامبالاة من قبل كثيرات من السجينات وعدم تقبلهن لوجود مدرسات، ولكن مع استمرارنا بالحضور وانخراطنا معهن بدأت السجينات في الاستجابة لنا وللتدريب نظرًا لحصولهن على عائد مادي مقابل بيع منتجاتهن**». وتأمل المدرسات أن يكون هناك مركز تسويق لتلك المنتجات في جميع المحافظات.

وكانت وزيرة حقوق الإنسان اليمنية **هدى البان** قد ناشدت في أحد تصريحاتها، إدارة السجون تشجيع السجينات لتعلم مهارات جديدة وتحسين تعليمهن وإصلاحهن بعد الإفراج عنهن للمساعدة على إدماجهن في المجتمع من جديد. وأشادت وزيرة حقوق الإنسان بجهود اللجنة الدولية وجمعية الهلال الأحمر اليمني ومصلحة السجون في مساعدة النساء في السجون وتنظيم مثل هذه البرامج.

ويشير العميد الركن **علي ناصر لخشع**، رئيس مصلحة السجون في اليمن، في تصريحاته إلى الاهتمام الذي توليه الدولة للسجينات وكذلك الأنشطة المختلفة التي تقدمها منظمات المجتمع المدني والمنظمات الدولية. فقد استفادت سجينات كثيرات في مختلف السجون المركزية بمحافظات الجمهورية من برامج التأهيل والتدريب في مجالات محو الأمية وحفظ القرآن الكريم والخياطة والتطريز وأعمال الحياكة. يقول **العميد الركن لخشع**: «**نسعى من خلال هذه الأنشطة إلى تسليط الضوء على مسألة الرعاية اللاحقة للسجينات، لأن مشكلة السجينة في اليمن تأتي ما بعد السجن، فالمجتمع يتقبل الرجل بعد أن يطلق سراحه، أما المرأة فينظر إليها بصورة أخرى ولا يتقبلها المجتمع لذلك نعتبر وضعها حرجًا جدًا، وهذه النظرة مازالت من بقايا موروثات الماضي**».

ترى **اعتدال عبده** التي تعمل مع الهلال الأحمر اليمني في السجن المركزي **بصنعاء** منذ عشرين عاما: «**إن هذا البرنامج كان حلما وأصبح حقيقة تستفيد منه نزيلات السجون في اكتساب العديد من مهارات المشغولات اليدوية إلى جانب القراءة والكتابة والكمبيوتر وأيضا اللغة الإنجليزية**». فقد منح البرنامج بحسب **اعتدال** السجينات مهارات لكسب الرزق بعد خروجهن من السجن «**كون المرأة المسجونة تواجه نفور أقربائها منها بعد إطلاق سراحها، ومثل هكذا برنامج يؤهلها للاعتماد على نفسها كي تكسب لقمة العيش بكرامة**» ■

ICRC

ICRC

ICRC

اللجنة الدولية ساعدت على نقله إلى سوريا

تفاح الجولان: طعم الطفولة ورمز الأمل

سعاد مسعودي*

نادرًا ما نرى هذا النشاط الحيوي في نقطة العبور بالقنيطرة بين الجولان المحتل وسوريا الأصل. فعلى مر أسابيع ظلت شاحنات ضخمة بيضاء مزيَّنة بشارة اللجنة الدولية للصليب الأحمر تعبر الخط الفاصل لعام 1974 ذهابًا وإيابًا كجزء من عملية إنسانية نادرة، الهدف منها دعم المزارعين منتجي تفاح الجولان.

«**لا يوجد تفاح في العالم يفوق مذاقه مذاق تفاح الجولان. إنه طعم حب الحرية**». هكذا تنظر **فاتن يوسف فادي**، المتطوعة في فرع الهلال الأحمر العربي السوري **بالقنيطرة**، إلى هذه الفاكهة. هي رمز الأمل بالنسبة لها. وفاتن شاركت في عملية نقل تفاح الجولان المحتل إلى سوريا. فعلى مدى خمسة أيام في الأسبوع، ولعدة أسابيع، قامت الشاحنات بزهاء 30 رحلة يوميًا تحت مراقبة محكمة من قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة والجنود السوريين والإسرائيليين لإتمام عملية النقل.

تقول رئيسة بعثة اللجنة الدولية في سوريا **ماريان غاسير**: «**بعد سبعة أسابيع من العمل المضني، انتهت عملية نقل تفاح الجولان في نيسان/أبريل الماضي. وقد نقلت اللجنة الدولية إلى سوريا هذا العام 8100 طن من تفاح الجولان؛ وهي أكبر كمية نقلناها حتى الآن، فهي تزيد ضعفين ونيف عن الكمية في البدايات الأولى. وتعد هذه المرة الخامسة التي نقوم فيها بعملية نقل من هذا النوع منذ العام 2005**». وتتعاون اللجنة الدولية بصفتها وسيطا محايدًا مع السلطات الإسرائيلية والسورية على تيسير القضايا ذات الاهتمام الإنساني لمصلحة السكان السوريين العرب المقيمين في شطر **الجولان المحتل** من قبل إسرائيل.

دعم اقتصاد الجولان

إن نقل التفاح قد يبدو نشاطا إنسانيًا غريبًا، ومع ذلك يقول مزارعو **الجولان** إنه مهم جدًا لاقتصاد مجتمعهم. فنحو ربع كمية إنتاجهم يُنقل للبيع في سوريا.

ICRC

يقول **ناظم خاطر**، أحد مزارعي الجولان: «**قبل بدء عمليات نقل التفاح كنا نواجه صعوبات جمَّة في بيع تفاحنا. ونتيجة لذلك بدأ عدد من المزارعين بالتخلي عن أراضيهم. وبالإضافة إلى دعم الاقتصاد المحلي، تساعد عمليات نقل التفاح في توفير العمالة لمجتمعنا، لأن فرص العمل قليلة جدًا في الجولان**». وقد وجدت تعليقات **خاطر** صدى لدى السيدة **سميرة إبراهيم** التي تساعد في فرز وتعليب التفاح لشحنه. تقول **سميرة**: «**قبل نقل تفاحنا إلى أسواق وطننا الأم، كان عدد أيام العمل لدينا يقارب الستين يومًا في السنة. أما الآن ومع هذه العملية، زاد عدد أيام العمل ضعفين تقريبًا لأننا بحاجة إلى إعداد الشحنات. وهو ما زاد في دخلي فعلًا فأصبحنا نتطلع كل عام لهذه العملية**».

كارانجا ندونغو، سائق كيني تابع للجنة الدولية يشارك للمرة الثانية في نقل التفاح وهو يرى أن عبء العمل يستحق العناء. «**إنه عمل يكتسي أهمية بالغة... أرى ذلك وأنا أنظر إلى وجوه الناس من كلا جانبي الخط. تغمرهم سعادة عارمة**» يقول **ندونغو**.

طعم الطفولة

إلا أن التفاح يمثل أكثر من مجرد الربح والمبيعات بل يساهم في الحفاظ على الروابط العائلية، فالغالبية العظمى من العرب السوريين في الجولان لديهم أقارب مقربون يقيمون في مناطق أخرى من سوريا، لكنهم لا يستطيعون زيارتهم بسبب المنطقة الفاصلة المغلقة.

يقول **غالب خاطر**، وهو مزارع أيضا: «**تساعد عملية نقل التفاح سنويًا مجتمعنا على الحفاظ على الروابط مع سوريا وطننا الأم. فعندما أشاهد هذه الشاحنات قاصدة سوريا الأصل يشجعني ذلك على مواصلة زرع أشجار التفاح وإنتاجه. وآمل أن تجذب هذه المبادرة الاقتصادية الانتباه أيضاً إلى الوضع الإنساني للعرب السوريين في الجولان المحتل المنفصلين عن عائلاتهم التي تعيش في سوريا**».

ويعرف تفاح **الجولان** في سوريا بحجمه الكبير وكثرة عصارته وجودته العالية، وتشتريه الحكومة السورية بسعر مرتفع برهانًا منها على دعم سكان **الجولان**. ويشرح عمدة مدينة **القنيطرة عصام سعيد شعلان** قائلًا: «**هذه الفاكهة مطلوبة جدًا في سوريا، ليس فقط لأن التفاح من جودة ومذاق رفيعين، وإنما أيضًا لأنه يمثل مجتمع الجولان وكرامته**».

يعيش نصف عدد أفراد عائلة **العمدة** على الجانب الآخر من الخط الفاصل، ويضيف قائلًا: «**كل مرة أشم نكهة وأتذوق طعم تفاح الجولان يعود بي الزمن أربعين عامًا إلى الوراء وتكبر ذكريات طفولتي التي أمضيتها في حقل عائلتي بالجولان. ليس لدي ما هو أهم من وطني الأم. فأنا فخور بمجتمعي وأرضي**» ■

ICRC

* مسؤولة الإعلام في بعثة اللجنة الدولية في دمشق

عن أم سالم التي امتهنت إدخال الدفء إلى قلوب المعتقلين

ICRC

نادية دبسي*

تقوم اللجنة الدولية للصليب الأحمر، منذ العام 1968 بإدارة برنامج زيارة العائلات الذي يسمح لما يقارب من 12 ألف شخص بزيارة المحتجزين من الضفة الغربية والقدس الشرقية وقطاع غزة والجولان المحتل. وأم سالم، بفطرتها، قررت أن تدعم عمل اللجنة الدولية بشكل جديد.

«**ما** أقسى قلبك...» هذه هي الكلمات التي سمعتها أم سالم أثناء قيامها بزيارة أحد شبان الدوريات الذين «تبنتهم» أثناء فترة اعتقالهم. كل من يعرف **أم سالم**، القاطنة في حي «**صباح الخير**» في **جنين**، يعرف بأن هذه الصفة تبعد كل البعد عن حب وحنان **أم سالم** التي يتوالى أبناؤها وبناتها وأحفادها على زيارتها صباحًا ومساءً، وهي بمثابة محطة إلزامية في بداية كل نهار وفي نهايته، يستمدون منها الطاقة والمثابرة والشجاعة.

أم سالم أم لستة شبان وثلاث بنات جميعهم متزوجون ما عدا **سامر**. وجميعهم أمضوا فترات اعتقال مختلفة في السجون الإسرائيلية على مدى السنوات الماضية. **سامر** الذي اعتقل منذ 24 عامًا وحكم عليه بالسجن مدى الحياة ما زال وحده مسجونا.

تتذكر **أم سالم** مبتسمة، اليوم الذي قيل لها بأن قلبها قاس وتقول: «**ذهبت إلى سجن عسقلان في حافلة الصليب الأحمر لزيارة سالم (سالم الشاويش من عكا) في الدوريات وبعدما سجلت للزيارة وجلست أنتظر سالم فوجئت برؤية ابني سامر أمامي. لم أكن أعرف أنه تم نقله إلى هذا السجن. تأثرت كثيرًا برؤيته ولكنني قمت من مكاني وطلبت من الحارس أن يرجع سامر إلى زنزانته ويذهب لإحضار سالم. تفاجأ الحارس، وقال بأن عليّ إعادة التسجيل وطلب سالم بدلا من سامر. سمعت إحدى الأمهات التي جاءت لزيارة ابنها حديثي مع الحارس فقالت لي: «يا الله ما أقسى قلبك..». لم أعرها أي انتباه ففي هذه اللحظة التقى سالم وسامر لأول مرة وجهًا لوجه منذ سنوات وتعانقا وتحدثا بشكل موجز ثم أكملت باقي الزيارة مع سالم**».

عن دورها في زيارة أسرى الدوريات تقول أم سالم: «**كان أحد أقارب زوجي، جمال المحروم، معتقلًا وكنا نقوم بزيارته فقال لي إن هنالك شبانًا لا يستطيع أحد زيارتهم وتزويدهم بالحاجيات الضرورية مثل الملابس**». بعد ذلك انضمت **أم سالم** إلى **أم رشدي** من **نابلس** وغيرهن للقيام «بالدوريات» في زيارة المعتقلين الفلسطينيين أو غيرهم الذين لا يستطيع أقرباؤهم زيارتهم. «**تبنيت معتقلين من غزة بالمراسلة حيث كنت أرسل لهم ما يحتاجونه من ملابس واحتياجات أخرى**» تقول **أم سالم**.

استمر نظام زيارة معتقلي الدوريات من الانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987) وحتى أوائل التسعينيات، بعد ذلك رفضت السلطات الإسرائيلية إصدار تصاريح زيارة إلا للأقارب من الدرجة الأولى كما هو الحال اليوم.

كانت **أم سالم** تزور ثلاثة شبان من معتقلي الدوريات وهم **سالم الشاويش** وأصله من **عكا**، **وزهير كرّوم** وأصله من **صفد**، و**أحمد إسماعيل** من **النبطية** في جنوب لبنان. حتى بعد أن تم الإفراج عنهم إلى قطاع **غزة** في أوائل التسعينيات حيث بقي **زهير** في **غزة**، في حين هاجر **سالم** إلى الدنمارك، وعاد **إسماعيل** إلى لبنان، ما زالت **أم سالم** تحافظ على تواصل معهم حتى اليوم وأولادهم يعتبرونها بمثابة جدتهم الثانية.

لكن ما الذي كان يدور من أحاديث بينها وبين أولئك الشبان الذين لا تعرفهم ولا يعرفونها؟ تتذكر قائلة: «**كنت أستمع إليهم، أقوم بدور الأم والأهل. أجلب لهم ما يحتاجونه، وبعد الزيارة كنت أتصل بأهلهم وأطمئنهم وأوصل السلام**». ماذا عن شعور **سامر** عندما تقوم والدته بزيارة **زهير** أو **سالم** بدلا من زيارته؟ تقول **أم سالم**: «**سامر كان يعرف بأنني أقوم بالتسجيل في مكتب الصليب الأحمر لزيارتهم كل 15 يوما بدلا من زيارته ولكنه تفهم الأمر وتقبله لأنه كان يعلم بأن أحدا لا يستطيع زيارة سالم وزهير، بينما هو يحظى بزيارات دائمة مني ومن عائلته من خلال برنامج الزيارات العائلية التابع للجنة الدولية للصليب الأحمر**».

عن رأي **أبو سالم** في ما كانت تقوم به، تتذكر **أم سالم**: «**كان زوجي يخاف من كل موضوع له علاقة بالاحتلال، كان يخاف علينا كثيرًا. كان رجلًا مسالمًا ويقلق من أن يأتي الجيش ويعتقل أولادنا. وبعد أن بدأت بالزيارات بدأ يقلق من أن يأتوا لاعتقالي!**». وتكمل متأثرة: «**أكذب لو قلت أنني لم أتأثر... ما زلت أتذكر كل لحظة من كل زيارة، ففراق الأبناء والأحباء صعب علينا. وهو صعب على سامر أيضا. عندما أقوم بزيارته يكون متلهفًا لمعرفة كل التفاصيل عني وعن إخوته كأنه لا يزال يعيش بيننا وهذا ما ورد في كتاباته عن السجن. نحن نحافظ أيضًا على وجوده بيننا ونحتفل بعيد ميلاده سنويًا**» ■

* مسؤولة برنامج الزيارات العائلية في قسم الإعلام ببعثة اللجنة الدولية في القدس

ICRC

وسام «فلورانس نايتنغيل»:

عربون على التقدير المستحق للممرضين

غالبا ما يتعين على الممرضين أثناء الأزمات العمل في ظروف شبيهة بالظروف التي كانت سائدة أيام «فلورانس نايتنغيل». وتصف سابين هلبرغ، وهي كبيرة الممرضين في اللجنة الدولية للصليب الأحمر، التحديات التي يواجهها الممرضون في البلدان المنكوبة بنزاعات مسلحة وكوارث طبيعية وتتحدث عن إرث «فلورانس نايتنغيل» والوسام الذي يمنح تخليدا لذكرى عملها. •••

تمنح اللجنة الدولية وسام «فلورانس نايتنغيل» كل عامين لممرضٍ تقديرا لشجاعته وتفانيه في مجال رعاية الضحايا

ما هو وسام «فلورانس نايتنغيل»؟

وسام «**فلورانس نايتنغيل**» هو أعلى تمييز دولي يمكن منحه لممرضٍ. وهو يقدر الشجاعة والتفاني الرائعين في مجال رعاية ضحايا النزاعات أو الكوارث الطبيعية، أو الخدمات المثالية، أو الروح الخلاقة والسباقة في مجالات الصحة العامة أو تعليم التمريض.

وقد حصل ما مجموعه 1340 ممرضا بارعا من كل أنحاء العالم على الوسام الذي يحمل اسم الإصلاحية الرائدة في التمريض الحديث، وذلك منذ أول مرة مُنح فيها في العام 1920. وينحدر الحاصلون على الوسام في السابق من بلدان متنوعة مثل بوتسوانا وروسيا وأفغانستان وإكوادور وأذربيجان ومونغوليا، غير أن ما يوحّدهم هي الروح وتصميمهم على مواصلة إرث «**فلورانس نايتنغيل**» الذي ألهم عددا لا يُحصى من الممرضين في جميع أنحاء العالم.

ويحصل على الوسام الممرضون ومساعدوهم المؤهلون، ذكورا كانوا أم إناثا، الذين يعملون بصفتهم أعضاء نشطين أو مساعدين عاديين في الجمعيات الوطنية للصليب الأحمر أو الهلال الأحمر أو في أي مؤسسة طبية أو تمريضية تابعة لها. وتقوم اللجنة الدولية التي تمنح الوسام كل عامين بوضع قائمة المرشحين الذين يقع عليهم الاختيار للحصول على الوسام.

ونريد في اللجنة الدولية ضمان حصول الممرضين على التقدير الذي يستحقونه. ونشجع الناس على الاتصال بالجمعية الوطنية للصليب الأحمر أو

ممرضة من الهلال الأحمر الصومالي تقوم بفحص طفل مريض بإحدى عيادات منطقة «باكول»

ICRC

قد يكون من المستحيل عمليا رعاية الجرحى والمرضى بدون الممرضين ومساعديهم

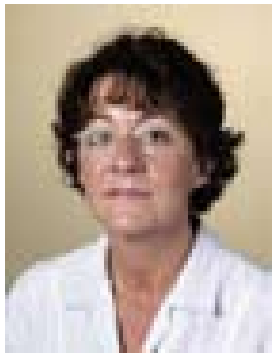

سابين هلبرغ

الهلال الأحمر في بلدانهم إن كانوا يعرفون ممرضا بارعا يستحق الترشيح للحصول على الوسام.

■ **ما هي أهم التحديات التي تواجه الممرضين ومساعديهم العاملين في بلدان منكوبة بالنزاعات أو الكوارث الطبيعية؟**

يواجه الممرضون تحديات جمة... وهي تختلف في حالات الكوارث الطبيعية عنها في النزاعات المسلحة. بداية، وقبل أي شيء، قد تكون المسائل الأمنية تحديا أساسيا. ففي الكوارث الطبيعية، عادة ما يكون الممرضون والعاملون في الرعاية الصحية قلقين بشأن هشاشة المرافق التي يستخدمونها. وعليهم أن يتأكدوا من متانتها وقدرتها على استيعاب أعداد متزايدة من المرضى والجرحى.

أما في حالات النزاعات المسلحة، فعلى الممرضين ومساعديهم أن يؤدوا مهماتهم في أغلب الأحيان وسط القصف وإطلاق النار أو على مقربة من الانفجارات. وبطبيعة الحال، يخشون على سلامتهم وسلامة مرضاهم. ولكن حتى وإن كانوا مذعورين، عليهم أن يركزوا على إنجاز عملهم. وقد يجعل القتال الأمر خطيرا عليهم أثناء الذهاب إلى العمل والرجوع منه، فيضطرون للعيش حبيسي منطقة محددة من أجل حماية أنفسهم والحفاظ على سلامتهم.

وتحدٍ ثانٍ يواجهه الممرضون كثيرا في هذه الأنواع من الأزمات، هو تحدي معالجة أنواع من الجروح لم يعالجوها من قبل. وعندما يحدث هذا الأمر، عليهم أن «يتصرفوا ببداهة» من أجل الاستجابة للاحتياجات بسرعة وكما ينبغي. بالإضافة إلى ذلك، عندما تكون حصيلة الضحايا مرتفعة، لا يمكن عادة للممرضين ومساعديهم أن يخصصوا المقدار نفسه من الوقت لفرادى المرضى كما يفعلون في الظروف العادية. ويجب عليهم العمل لساعات أطول والتغلب على الإرهاق. وإذا هرب الزملاء في العمل من المنطقة، بسبب القتال العنيف مثلا، على الممرضين مواجهة النقص في الدعم الذي هم بأمس الحاجة إليه.

أما العبء الإضافي الذي يتحمله الممرضون ومساعدوهم الذين يعملون في بلدانهم عندما تمر بأزمات، فهو الخوف على سلامة عائلاتهم ومجتمعاتهم المحلية ورفاههم وهو وضع يستنزفهم عاطفيا. وقد يحدث أن يعالجوا أشخاصا عرفوهم شخصيا في السابق ويكون بعضهم مصابين بجروح أو إصابات خطيرة. في هذه الحالة، يمكن أن يشكل هذا الأمر تحديا فعليا لهم إن أرادوا توخي عدم التحيز. ويتطلب التغلب على تحديات كهذه التزاما قويا بالمثل العليا للتمريض.

■ **التمريض في صميم الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر. كيف يخفف الممرضون ومساعدوهم معاناة الأشخاص المتضررين من الحروب أو الكوارث الطبيعية؟**

لا يمكن الاستهانة بإسهامات الممرضين أثناء الأزمات. فالتمريض كان في صميم نشاط الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر منذ البداية في العام 1859 عندما عمل «هنري دونان» والنساء جنبا إلى جنب في «كستليوني» في إيطاليا لرعاية الجنود الذين جرحوا في معركة «سولفرينو». وعلّمت هذه التجربة هنري دونان أهمية الممرضين المتطوعين الملتزمين والمؤهلين. وهو عمل لاحقا بلا كلل على تأسيس جمعيات للإغاثة تعتمد على ممرضين لرعاية الجنود الجرحى في زمن الحرب.

وبدون الممرضين ومساعديهم، قد يكون ●●●

ICRC

لقبت فلورانس نايتنغيل «بالسيدة حاملة المصباح» لأنها كانت في المساء تتجول في أجنحة المستشفى وبيدها مصباح، تخفف عن مرضاها.

من المستحيل عمليا رعاية الجرحى والمرضى وقد ينجو القليل منهم. وعلى سبيل المثال، يمكن إجراء عملية جراحية فقط إن كان الممرضون متوفرين لتقديم الرعاية في فترة ما بعد العملية. والممرضون ومساعدوهم مسؤولون في المستشفيات عن تغيير الضمادات، والتأكد من التقيّد بالمعايير الصارمة لقواعد النظافة، وفي بعض البلدان التأكد من تقديم الأغذية الملائمة للمرضى، وهذا أمر أساسي للحفاظ على جهاز مناعة قوي.

ولا يعالج الممرضون المرضى ويواسونهم فحسب بل أيضا يدعمون في أغلب الأحيان العائلات من خلال إبقائها على اطّلاع بالأمور ونصحها حول طرق رعاية فلذات أكبادها. ويوفرون اللمسة الإنسانية اللازمة لأي شفاء.

■ **يكون الضغط شديدا على كاهل الممرضين في الأزمات. فما هو المطلوب للعمل كممرض في هذه الأوضاع؟**

يرزح الجميع تحت الضغط أثناء الأزمات. الشجاعة والرأفة والالتزام صفات مطلوبة لمواجهة حالات يكون القليل من الناس على استعداد لها. ووسام «فلورانس نايتنغيل» هو تقدير لهذه السمات. والممرضون بحاجة أيضا إلى التحلي بالنضج والهدوء والمرونة كي يقوموا بعملهم بفعالية.

فالتمريض موهبة. ولكي يصبح المرء ممرضا، عليه أن يتحلى بروح عالية من المسؤولية وبرغبة حقيقية لمساعدة الناس. وليعمل المرء كممرضٍ في أوقات الأزمات، يحتاج أيضا إلى أن يكون على استعداد للقيام بكل ما يُطلب منه، ويكون قادرا على تحمل الضغط ومعالجة المشاكل تلقائيا.

■ **كرست «فلورانس نايتنغيل» حياتها لتحسين الرعاية الصحية وتعزيز مهنة التمريض. كيف يستمر إرثها اليوم؟**

لقد سبقت فلورانس نايتنغيل عصرها. والرائع هو أننا ما زلنا نعمل بنصيحتها حتى بعد 150 عاما. وقد تبدو بعض أفكارها من الحس السليم في هذه الأيام غير أنها كانت تقدمية في أيامها. ولدينا الآن العلوم لفهم أثر الجراثيم والحاجة إلى تطبيق القواعد الملائمة للنظافة. لكن، «فلورانس نايتنغيل» رأت ما هو اللازم مستندةً بكل بساطة إلى مراقبة دقيقة وساهمت جهودها في تغيير المواقف وأنماط السلوك إزاء نظم قواعد النظافة في الرعاية الصحية حول العالم.

وكان إبداع «فلورانس نايتنغيل» مثيرا للإعجاب بقدر ما كانت مهاراتها التنظيمية العظيمة محط إعجاب. قيمت المشاكل بعناية وحللتها وكانت قادرة على التفكير فيها بطرق حديثة من أجل إيجاد الحلول. وهذه المهارات أساسية في النزاعات المسلحة أو الكوارث الطبيعية. وتقييم حاجات المرضى وتحليلها أمران جوهريان في عمل الممرضين.

ورغم أن الممرضين في البلدان المتقدمة يملكون الأدوات والمعدات اللازمة لمعالجة مرضاهم، إلا أنه في البلدان التي لا تزال في طور النمو، وخاصة إن شُل فيها نظام الرعاية الصحية أثناء إحدى الأزمات، ما فتئ الممرضون يعملون في ظروف شبيهة بالظروف السائدة أيام «فلورانس نايتنغيل».

بذلت «فلورانس نايتنغيل» حقا كل ما بوسعها لضمان تلقين الممرضين التدريب المهني والاعتراف بدورهم. فوضع التمريض سيئ في العديد من بلدان العالم. ومن الضروري بالتالي متابعة عمل «نايتنغيل» لضمان توفير المهارات التي يحتاجها الممرضون والاعتراف بإسهاماتهم. وسيتطلب تحقيق هذا الهدف التحلي بإحدى السمات التي يسلط وسام «فلورانس نايتنغيل» الضوء عليها ألا وهي سمة الالتزام ■

ICRC

«ميكاييل كولين» ممرضة من هاييتي تحاول مساعدة المصابين والمرضى بما تبقى من قدرات ضئيلة بعد أن دمر الزلزال الأخير المستشفى حيث كانت تعمل.

السيدة حاملة المصباح

قلّة هم الأشخاص أمثال فلورانس نايتنغيل الذين كان لهم أثر كبير على التمريض. ففلورانس نايتنغيل، المولودة في العام 1820، مبدعة بحق وقد بلغت مكانة أسطورية خلال حياتها بفضل إسهاماتها في مهنة التمريض والرعاية الصحية بصورة عامة.

ففيما كان التدريب الرسمي على التمريض متوفرا بقلة في ذلك الوقت، علّمت فلورانس نايتنغيل نفسها بنفسها عمليا. وبالتعلم من خلال التجربة، لم تثبت نفسها كممرضة محترمة فحسب وإنما أصبحت أيضا خبيرة من أوائل الخبراء في العالم في مجال النظافة العامة وخدمات الصرف الصحي.

ومثلما ولدت رؤية هنري دونان المتمثلة في إنشاء ما أصبح يعرف لاحقا بالحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر في معركة «سولفرينو» في إيطاليا، يعود عمل فلورانس نايتنغيل لتغيير الرعاية الصحية إلى تجاربها إبّان حرب القرم (1854– 1856). وفي الواقع، أقر دونان أن عمل فلورانس نايتنغيل ألهم أفكاره التي أدت إلى تأسيس الصليب الأحمر.

وعندما تطوعت فلورانس مع 40 ممرضا آخر لرعاية الجنود المصابين في مستشفى في «سكوتاري» إحدى ضواحي اسطنبول، واجهوا ظروفا مروعة من قبيل القذارة والاكتظاظ والجرذان ونقص الأغذية والألبسة والأطباء الجراحين والمعدات والأدوية. وكان عليها أيضا مواجهة حقد الأطباء الذين كانوا ينظرون إليها كمتطفلة. غير أن مهاراتها التنظيمية العالية، وروحها المفعمة بالحيوية، وتصميمها الثابت مكنتها من جعل المستشفى أكثر فعالية وكسب قبول ممرضيها في معالجة الجرحى الذين كانوا في عداد العسكريين سابقا.

وأثناء الليل، عندما لم تكن تكتب رسائل بالنيابة عن الجنود إلى أسرهم، كانت تتجول في الأجنحة، وبيدها مصباح، تخفف عن مرضاها فاستحقت لقب «السيدة حاملة المصباح». وعند عودتها إلى إنجلترا، عملت فلورانس نايتنغيل جاهدة بلا كلل على تعزيز القضايا العزيزة على قلبها: إصلاح الخدمات الطبية للجيش، وتغيير تصميم المستشفى، وتطوير مجال الطب الوقائي، وتحسين وضع الممرضين وتدريبهم.

وبفضل الدروس المستقاة من حرب القرم، ألّفت كتابا تحت عنوان «مذكرات عن التمريض» شرحت فيه بالتفصيل كيفية تهيئة الأجواء الأكثر مساعدة على رفاه الجرحى وتعافيهم، وأعطت نصيحة عملية تعارضت مع المعتقدات السائدة آنذاك. والجمع بين الممارسة السليمة والحس الجيد هو من أحد خصوصيات نهجها الذي ما زال يحتفظ بكامل ميزاته الأساسية حتى الآن رغم التقدم الكبير المحرز في علم الطب وخدمات الصحة.

إن قدوة فلورانس نايتنغيل هي التي ألهمت وما زالت تلهم عددا لا يُحصى من الممرضين في كافة أرجاء العالم ■

تشكل قضية اللجوء والنزوح القسري إحدى أكثر القضايا إلحاحا التي تواجه المجتمع الدولي، كون هذه الفئة من الناس الأكثر تماسا مع المعاناة سواء كان ذلك نتيجة لصراع، أو اضطهاد، أو غير ذلك من أنواع انتهاكات حقوق الإنسان. لكن التحديات التي تواجه هذه القضية اليوم تحتاج إلى إعادة تقييم أشكال التعامل الدولي معها.

الدكتور محمد الطراونة*

آليات الحماية الدولية للاجئين ومصداقيتها

AFP

لم يتم النظر إلى قضية اللاجئين باعتبارها قضية دولية يتعين معالجتها، إلا في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى وتحديدا بعد إنشاء عصبة الأمم. وتقع المسؤولية الأولى عن حماية اللاجئين ومساعدتهم على عاتق الدول خاصة بلدان اللجوء التي يفر إليها اللاجئون.

فنظرا لاضطرار الكثير من الأشخاص إلى التخلي عن ديارهم، والتماس الأمان في أماكن أخرى هربا من الاضطهاد والصراع المسلح والعنف السياسي، بدأ المجتمع الدولي يتعامل مع هذه القضايا، فصدرت الاتفاقية الدولية لعام 1951، ثم بروتوكول عام 1967 الذي ألغى القيود الجغرافية لجعل الاتفاقية أكثر اتساقا وشمولا بحيث أصبحت تركز على الجانب الإنساني لمشكلة اللاجئين.

وهذه التفرقة مابين السياسي والإنساني، مكنت مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين من العمل في عصر الحرب الباردة وفي الفترات اللاحقة من الصراعات المسلحة على حد سواء.

ومن هنا تحددت الوظائف الأساسية للمفوضية باعتبارها ذات شقين، سياسي وإنساني. فزاد الاهتمام بقضايا اللجوء مع ازدياد أعداد اللاجئين في شتى أنحاء العالم، وأخذت سبل الحماية في الفترة الأخيرة أشكالا جديدة. فبالإضافة إلى مسألة إعادة التوطين، أصبح هناك اهتمام بتوفير المساعدة المادية مثل الأغذية والمأوى، وكذلك توفير الرعاية الصحية والتعليم وغير ذلك من الخدمات الاجتماعية.

إلى ذلك توسع نطاق المستفيدين من الحماية ليشمل، بالإضافة إلى اللاجئين، فئات أخرى مثل النازحين داخل حدود بلادهم، والعائدين (اللاجئين أو النازحين داخليا الذين عادوا) وملتمسي اللجوء(الذين لم يتقرر بعد وضعهم الرسمي) والأشخاص عديمي الجنسية، والسكان المتأثرين بالحرب وغيرهم.

تقع مسؤولية حماية اللاجئين على عاتق اللجنة الدولية بموجب اتفاقيات جنيف

AFP

* قاض وعضو اللجنة الوطنية للقانون الدولي الإنساني في الأردن

AFP

تزداد أعداد اللاجئين فى شتى أنحاء العالم بسبب ازدياد عدد النزاعات المسلحة

كما تزايد بصورة كبيرة عدد القوى الفاعلة والمنخرطة بالبرامج الهادفة إلى حماية اللاجئين والنازحين ومساعدتهم.

وفيما كانت الحماية الدولية لمشاكل اللجوء تتم في الماضي بطريقة رد الفعل، أخذت سبل الحماية منحى آخر حاليا، قائما على الأخذ بالنهج الشامل لمواجهة مشكلة اللجوء والنزوح القسري لاسيما مع بروز تحديات كبيرة تواجه مشكلة اللاجئين، لعل أهمها، التحديات التي يفرضها تزايد النزاعات المسلحة، والطبيعة المتغيرة للنزاعات الدولية والمحلية (الداخلية)، والتحركات المتزايدة للسكان، والتحديات التي تواجه العمل الإنساني بشكل عام، بالإضافة إلى تقاعس المجتمع الدولي عن دعم المفوضية والبلدان المستضيفة للاجئين ماديا.

كل هذه التحديات برأيي تقتضي مراجعة سبل الحماية بالتعاون بين كافة الدول، وأن يتم التعامل مع مشكلة اللجوء كقضية إنسانية بالدرجة الأولى بعيدا عن أية اعتبارات أخرى.

حماية اللاجئين وفقا للقانون الدولي الإنساني

من المعلوم أن القانون الدولي الإنساني هو فرع من فروع القانون الدولي العام، وهو حديث النشأة نسبيا ويوفر سبل الحماية الخاصة باللاجئين إذا كانوا تحت سلطة أحد أطراف النزاع.

ففي حالة نشوب نزاع مسلح دولي، يتمتع مواطنو الدولة بعد فرارهم من الأعمال العدائية واستقرارهم في بلد العدو بالحماية بموجب اتفاقية جنيف الرابعة، على أساس أنهم أجانب يقيمون في أراضي طرف في النزاع. وتطالب الاتفاقية الرابعة البلد المضيف بمعاملة اللاجئين معاملة تفضيلية، والامتناع عن معاملتهم كأجانب أعداء على أساس جنسيتهم، كونهم لا يتمتعون بحماية أية حكومة.

كذلك يتمتع اللاجئون من بين مواطني أي دولة محايدة في حالة إقامتهم في أراضي دولة محاربة بالحماية بموجب اتفاقية جنيف الرابعة، في حالة عدم وجود علاقات دبلوماسية بين دولتهم والدول المحاربة.

وفي حال احتلال أراضي دولة ما، فإن اللاجئ الذي يقع تحت سلطة الدولة التي هو أحد مواطنيها يتمتع بحماية خاصة، إذ إن الاتفاقية الرابعة تحظر على دولة الاحتلال القبض على هذا اللاجئ، بل تحظر عليها محاكمته أو إدانته أو إبعاده عن الأراضي المحتلة.

وإذا كانت المفوضية التابعة للأمم المتحدة تقوم بإجراءات الحماية والمساعدة وفقا للمعايير الدولية، فإن اللجنة الدولية للصليب الأحمر تقوم بالدور نفسه وفقا لقواعد القانون الدولي الإنساني، ويقع على عاتقها مسؤولية مباشرة عن مصير اللاجئين الذين هم الضحايا المدنيون للنزاعات المسلحة أو للاضطرابات، بحيث تتدخل اللجنة الدولية فيما يخص اللاجئين الذين يشملهم القانون الدولي الإنساني، لكي يطبق المتحاربون القواعد ذات الصلة باتفاقية جنيف الرابعة، وتحاول في مجال عملها الميداني أن تزور هؤلاء اللاجئين وتوفر لهم سبل الحماية والمساعدة الضرورية.

وتشكل مسألة إعادة اللاجئين إلى أوطانهم أحد المشاغل الرئيسية للجنة الدولية. فهي حتى وإن لم تشارك كقاعدة عامة في عمليات إعادة اللاجئين إلى أوطانهم، إلا أنها تطلب من الدول والمنظمات المعنية أن تحدد بالضبط موعد وشروط عودة هؤلاء.

كما يحظر البروتوكول الثاني (المادة 17) الترحيل القسري للمدنيين، إذ لا يجوز الأمر بترحيلهم إلا بصفة استثنائية، وهذا ما نصت عليه المادة السابعة من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية التي اعتبرت الترحيل القسري للسكان من قبيل الجرائم ضد الإنسانية.

حماية الأطفال اللاجئين

تعتبر المعاهدات الدولية مهمة للأطفال اللاجئين كونها تحدد المعايير الخاصة بحمايتهم. فعندما تصادق دولة ما على أية معاهدة دولية، فإن حكومة هذه الدولة تتعهد أمام المجتمع الدولي، بأنها سوف تسير وفقا للمعايير والقواعد التي حددتها الاتفاقية. ومن بين هذه الاتفاقيات اتفاقية العام 1951 التي تضع المعايير التي تنطبق على الأطفال. إذ تعتبر أي طفل لديه خوف مبرر من التعرض للاضطهاد من جراء الأسباب التي أوردتها

الاتفاقية يعتبر لاجئا. وهي نصت على عدم جواز إرغام أي طفل يتمتع بصفة اللاجئ على العودة إلى بلده الأم، كما تطرقت إلى عدم جواز التمييز بين الأطفال والراشدين في مجال الرعاية الاجتماعية والحقوق القانونية، وأقرت أحكاما خاصة بتعليم الأطفال اللاجئين.

واتفاقية حقوق الطفل لعام 1989 هي المعاهدة التي تحدد المعايير الخاصة بالأطفال، وهي، وإن لم تكن معاهدة خاصة باللاجئين، إلا أن الأطفال اللاجئين مشمولون بأحكامها، أي جميع الأشخاص الذين لا تتجاوز أعمارهم 18 عاما دون أي تمييز.

وقد اكتسبت اتفاقية حقوق الطفل أهمية خاصة بالنسبة للأطفال اللاجئين بسبب المصادقة شبه العالمية عليها .

ومن أجل رفاهية الأطفال اللاجئين، تحث المفوضية جميع الدول والوكالات الدولية والمنظمات غير الحكومية على احترام المعايير التي حددتها اتفاقية حقوق الطفل.

ومن أجل ذلك تبنت مؤتمرات القمة العالمية الخاصة بالأطفال بعض الأهداف وأدرجت الأطفال اللاجئين بموجبها ضمن فئة الأطفال الموجودين في ظروف صعبة للغاية.

النساء وحق اللجوء

النساء هن من أكثر فئات اللاجئين تعرضا لانتهاك حقوقهن ويتعذبن بصورة خاصة في حالات النزاعات المسلحة التي يحرم فيها الأفراد من ممارسة أغلبية حقوقهم الأساسية ولا يتمكنون فيها من الاعتماد إلا على الحماية التي يمنحها لهم القانون الدولي الإنساني.

وقد أثرت الحركة الرامية إلى تحقيق الاعتراف بالمساواة في الحقوق بين الرجال والنساء، على الاتفاقيات الخاصة بحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني.

ففي العام 1979 اعتمد المجتمع الدولي اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة التي انضمت إليها حتى الآن الغالبية العظمى من دول العالم. وتطرقت هذه الاتفاقية لكافة الأحكام الخاصة بحماية المرأة، والتي يمكن الإحالة إليها في حال وجود المرأة في أماكن اللجوء، وفي الوقت نفسه يمكن إعمال اتفاقيات جنيف الأربع لعام 1949 التي تطرقت لضمان حماية النساء الحوامل والأمهات المرضعات.

أما ضمان حماية اللاجئات فلا يتطلب الالتزام بمعاهدة 1951 والبروتوكول الملحق بها فحسب، بل أيضا الالتزام بالصكوك الدولية الأخرى كونها تقدم إطار معايير دولية لحقوق الإنسان من أجل الاضطلاع بأنشطة حماية ومساعدة متعلقة باللاجئات.

وهناك طائفة من الحقوق يجب مراعاتها خصوصا إذا كانت الفئة المستهدفة هي النساء كحظر كافة أشكال العنف الجنسي كالاغتصاب والرق الجنسي وأعمال الدعارة في أماكن اللجوء وأثناء فترة النزاعات المسلحة، مع الأخذ بعين الاعتبار المبادئ التوجيهية للوقاية منها والتصدي لها التي أقرتها الأمم المتحدة. كما يجب العمل على لم شمل الأسر المشتتة في أماكن اللجوء خصوصا المرأة المتزوجة وأطفالها. وهناك ضرورة للعمل على تأمين الإجراءات القانونية فيما يتعلق بالمرأة الحامل من حيث ضمان الصحة الإنجابية وتسمية المولود وتسجيله. إلى ذلك من المهم وضع البرامج المدروسة فيما يتعلق بالصحة والتغذية والرعاية الاجتماعية والتعليم والتأهيل.

التحديات أمام قضية اللجوء ومصداقيتها

مع دخولنا الألفية الثالثة، وما نشهده من تأثيرات ومتغيرات عديدة، لعل أبرزها العولمة وأحادية القطب وتزايد حالات النزاع المسلح، لا نلحظه في قضية اللجوء، التي يبدو أنها بعيدة عن تلك المتغيرات. فالالتزام السياسي الذي أظهره المجتمع الدولي في التصدي للجوء والنزوح القسري في بعض البلدان ظل غائبا في بلدان أخرى.

بل وتتخذ الكثير من دول العالم اليوم تدابير تقييدية على نحو متزايد لردع اللاجئين. إذ قامت العديد من البلدان بالتنسيق فيما بينها لغايات الحد من قدوم اللاجئين إليها، من دون أن يترافق ذلك مع بحث عن حل للأسباب التي دفعت هؤلاء اللاجئين إلى ترك بلدانهم. وهي سياسات أدت في بعض الأحيان إلى وصم اللاجئين بأنهم أناس يحاولون التحايل على القانون.

ولمعالجة هذه التحديات يجب على المجتمع الدولي أن يدرك أن ملتمسي اللجوء والنازحين دفعتهم أخطار وأسباب خارجة عن إرادتهم للبحث عن مكان آمن، وأن الدول معنية بتطبيق الالتزامات المفروضة على عاتقها بموجب الاتفاقيات الدولية، الأمر الذي يقتضي التعامل مع قضية اللاجئين بأبعادها الإنسانية بعيدا عن المتغيرات السياسية.

من هنا تبدو مصداقية هذه الآليات اليوم على المحك خصوصا في ضوء تعامل المجتمع الدولي مع قضية اللاجئين العراقيين. فنحن نرى أن هناك تقاعسا من الدول عن القيام بمسؤولياتها كدول احتلال والتسبب بمشكلة اللجوء. كما أن هناك عدم توفير للدعم المالي الكافي للمنظمات الدولية التي تتعامل مع قضايا اللجوء للقيام بواجباتها على النحو المنشود، بالإضافة لغياب الدعم للدول المستضيفة لأعداد كبيرة من اللاجئين وخصوصا الدول التي تعاني أصلا من أزمات اقتصادية ■

يعتبر الترحيل القسري للمدنيين من قبيل الجرائم ضد الإنسانية

AFP

من المهم التعامل مع قضية اللاجئين كقضية إنسانية بالدرجة الأولى بعيدًا عن أي اعتبارات أخرى

لتعريفهم بمحيطهم ومساعدتهم على الحياة بأمان في القاهرة

مدرسة صيفية للاجئين القصر غير المصحوبين بأهاليهم

زينب غصن

يقدر عدد اللاجئين القصر غير المصحوبين بذويهم في مصر ما بين 300 إلى 500 بحسب تقديرات المنظمات الأهلية العاملة في مجال دعم هذه الفئة من اللاجئين. وغالبية هؤلاء اللاجئين أتوا من إريتريا والصومال، ونسبة قليلة منهم جاءت من السودان وإثيوبيا والعراق ودول أخرى.

هؤلاء الأطفال والشباب انفصلوا عن عائلاتهم ومنازلهم وانتقلوا إلى أماكن بعيدة وغريبة عن بيئتهم الأم. كما أن كثيرين منهم نجوا من ظروف صعبة ومخيفة في دولهم لاسيما أن غالبيتهم أتوا من أماكن تشهد نزاعات مسلحة. وبانتقالهم إلى بلد اللجوء، أي مصر، يواجه هؤلاء الأطفال والقصر تحديات اجتماعية وحياتية كثيرة ليس أقلها أن غالبيتهم لا يتحدثون اللغة العربية ولا الإنكليزية. وهو أمر، وإن بدا بسيطا في الظاهر، إلا أنه يؤدي بهم إلى فقدان القدرة على التواصل مع محيطهم الجديد ويؤثر على مختلف مظاهر حياتهم اليومية وقدرتهم على الحصول على الخدمات والرعاية الصحية والتعليم والنقل العام أو حتى بكل بساطة يمنعهم من شراء ما يحتاجونه من متجر البقّال. ما يؤدي بكثير من هؤلاء الشباب إلى الشعور بالضعف والإحباط والعزلة والنبذ وحتى الخطر بسبب عدم قدرتهم على التعبير بدقة عن أنفسهم. بعض الجمعيات الإنسانية في مصر تنبهت لهذه القضية وحاولت مساعدتهم من خلال مشروع متميز.

فقام «مكتب مساعدة اللاجئين لشمال أفريقيا والشرق الأوسط» (أميرا) ومركز خدمات اللاجئين بكنيسة سانت أندروز، وبدعم من جامعة «ديوك» في الولايات المتحدة واللجنة الدولية للصليب الأحمر في القاهرة بإطلاق مشروع مدرسة صيفية بعنوان «حياتي في القاهرة» تستهدف هذه الفئة من اللاجئين وتهدف إلى تدريبهم على المهارات الحياتية واللغة.

تقول فيونا كاميرون ممثلة «سانت أندروز» في البرنامج «**إن الكثير من هؤلاء القصّر غير المصحوبين يرسلهم أهلهم خارج دولهم لحمايتهم من الصراعات المسلحة القائمة فيها. فغالبية الآتين من إريتريا مثلا أرسلهم أهلهم للفرار من دخول الجيش والقتال. وهم يأتون إلى القاهرة من قرى صغيرة وفقيرة ويفتقرون في الكثير من الأحيان للمعرفة والمعلومات حول البلد الذي ينتقلون إليه، كما أنهم يفتقدون لعائلاتهم ويحتاجون إلى دعم نفسي وتعليم وهو ما نحاول تقديمه لهم. كما أنهم يفتقرون إلى أية أوراق رسمية**» غير أنه، وبعيدا عن الحاجة للتعليم هناك حاجات ومهارات بسيطة يفتقدها هؤلاء اللاجئون. وهو ما يحاول مشروع المدرسة الصيفية أن ينميها على مدى ثمانية أسابيع بحسب كاميرون «**من خلال تخصيص ساعات لتعليم اللغتين العربية والإنكليزية وأخرى للتعريف بالبيئة والمجتمع الذي يقيم فيه هؤلاء اللاجئون القصر بالإضافة إلى مهارات عملية كالطبخ مثلا حيث إن هؤلاء القصر مسؤولون عن تقرير حياتهم وعن إطعام أنفسهم**».

إلى ذلك فإن هؤلاء القصر الذين لا يرافقهم أحد من أهلهم غالبا ما يكونون غير مدركين لحقوقهم ومسؤولياتهم كلاجئين في مصر. فبغياب شخص بالغ يدافع عنهم ويحميهم يتم تجاهل هذه الفئة والتقليل من احترامها وربما يشعرون بالخوف والقلق ما يجعلهم غير قادرين على المطالبة بحقوقهم أو ممارسة مسؤولياتهم. وكثيرا ما يتأخر هؤلاء في الحصول على الحماية القانونية لهم كلاجئين أو على تصاريح الإقامة والخدمات الصحية والتعليمية.

ICRC

فيونا كاميرون ممثلة برنامج خدمات اللاجئين في «سانت أندروز»

ومن شأن هذه المدرسة الصيفية بحسب **كاميرون** «**أن تساهم في بناء شبكة اجتماعية بين هؤلاء اللاجئين بحيث لا يشعرون أنهم وحدهم كما أنها تساعدهم على بناء الشعور بالثقة وباحترام الذات**». ويستهدف البرنامج الفئة العمرية من 12 إلى 20 سنة من اللاجئين القصر غير المصحوبين بأهاليهم من إريتريا والصومال والسودان وإثيوبيا والعراق وغيرهم وكذلك اللاجئين القصر الذين

يعملون ما يجعلهم غير قادرين على الانخراط في التعليم العادي. ويضم البرنامج هذا العام مائة من اللاجئين القصر في خمسة مراكز في القاهرة وضواحيها حيث تتركز إقامة هؤلاء اللاجئين. أما اختيار اللغة الإنكليزية كأحد الصفوف التعليمية في البرنامج فكان بسبب رغبة العديد من هؤلاء الشباب بتحسين لغتهم الإنكليزية كون الكثير منهم يرغبون بالانتقال إلى دول أخرى. وجاء اختيار اللغة العربية أيضا كعنصر يوفر للطلبة المعلومات الأساسية واللغوية والثقافية للعيش بأمان وكرامة في مصر كما يساعدهم لاحقا على الانخراط في التعليم العادي. وتشير **كاميرون** إلى «**أن العديد من هؤلاء القصر لا يرغبون في البداية في تعلم اللغة العربية إذ يرون أنهم موجودون في مصر كمرحلة مؤقتة ولا يرغبون بالبقاء فيها بل يسعون للانتقال إلى دولة أخرى أو العودة إلى بلدانهم وبالتالي لا يضيعون جهدا كبيرا في تعلم العربية. غير أن ذلك يؤثر على نوعية حياتهم ويزيد من تحدياتها وصعوبتها ومن هنا أهمية التركيز عليها في المدرسة الصيفية لكي تساعدهم على عيش حياة أكثر سلاما وأمانا**».

ويعتمد البرنامج في تعليم اللغة على العناصر البصرية والتقنيات التطبيقية والتي يسهل فهمها من قبل الأطفال والشباب ومن خلال برنامج تم وضعه خصيصا لهذا المشروع وتم تطويعه ليتناسب مع طبيعة الحياة في القاهرة.

أما فيما خص المهارات الحياتية فقد تم تصميم البرنامج بحيث يدمج مواضيع مختلفة ومتنوعة من مظاهر الحياة اليومية ومناقشة أفكار بعضها بسيط مثل كيفية الذهاب إلى السوق أو العثور على عنوان في القاهرة أو الذهاب للطبيب أو الحصول على وجبة غذائية رخيصة الثمن، وبعضها أكثر تعقيدا مثل فكرة الوطن والعائلة أو الحصول على إقامة. كما شمل البرنامج زيارات لأماكن في القاهرة تعرف هؤلاء اللاجئين على المدينة التي يقيمون فيها والأماكن المهمة فيها لاسيما مراكز ومؤسسات مساعدة اللاجئين.

وتأمل كاميرون أن تشجع هذه المدرسة الصيفية كثيرين من المشاركين فيها على الانخراط في التعليم الذي تقدمه مدارس ومراكز خاصة باللاجئين في القاهرة على مدار العام لاسيما وأن العديد من هؤلاء اللاجئين القصر هم أميون ■

محمد سلطان*

هكذا يرى اللاجئون الصغار القاهرة

* مسؤول الإعلام في بعثة اللجنة الدولية في القاهرة

مع انتهاء مشروع المدرسة الصيفية «حياتي في القاهرة» نظم «مكتب مساعدة اللاجئين لشمال أفريقيا والشرق الأوسط» (أميرا) ومركز خدمات اللاجئين بسانت أندروز، معرضا للصور التي تستعرض حياة اللاجئين اليومية في قاعة ويليام والاس بالتاون هاوس التابع للمركز الثقافي البريطاني في القاهرة. التقط هذه الصور مجموعة من اللاجئين القصر غير المصحوبين بذويهم من السودان وإريتريا والصومال وإثيوبيا والذين شاركوا في المدرسة الصيفية. وكانت جامعة «ديوك» الأميركية قد زودت هؤلاء اللاجئين بكاميرات التقطوا بها صور المعرض. «روعة هذا المشروع إنه لا يكتفي فقط بتعليمنا اللغة العربية والإنكليزية وبعض المهارات الأخرى مثل الدعم الذاتي، والقيادة البشرية .. بل يعطينا الفرصة لكي نطبق ما تعلمناه .. البرنامج رائع والأكثر روعة هو أصدقائي الجدد الذين قابلتهم في أثناء دراستي به». هكذا عبر منذر، اللاجئ السوداني عن مشاعره وهو يشير بفخر إلى الصور التي التقطها بنفسه والتي عكست روح وطبيعة الحياة التي يحياها هؤلاء اللاجئون القصر بالقاهرة.

فقد أظهرت هذه الصور الظروف الاجتماعية والنفسية التي يمرون بها في أثناء محاولاتهم للتعايش مع واقع الحياة في مدينة كبيرة كالقاهرة، وعبرت بشكل عام عن رؤيتهم لأنفسهم وذواتهم، وهو ما يعد جزءًا من تمكينهم في هذا المجتمع.

يقول **برندينغ** أحد طلبة جامعة ديوك، والذي جاء إلى القاهرة خصيصا للعمل كمتطوع في هذا البرنامج الصيفي ومساعدة هؤلاء اللاجئين على تعلم مهارات جديدة: «**لقد جئت إلى هنا ولدى توقعات كبيرة، ولم أكن أتخيل أن تكون النتيجة بهذا الشكل.. لقد فاقت كل توقعاتي .. كان الأولاد أكثر من رائعين وفاعلين في هذا البرنامج.. لا تظن أننا فقط من علمناهم شيئا فهم أيضا علمونا الكثير من الأشياء**» ■

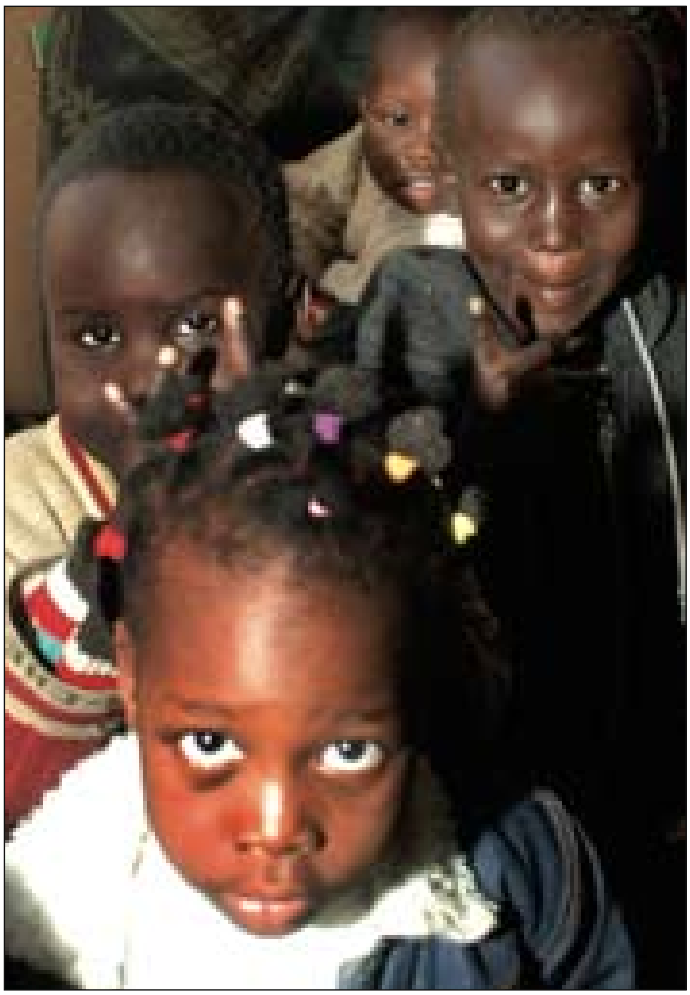

REUTERS

حقيبة محمد

إشراق عبد العادل*

الرسم : هيمت محمد علي**

لم تكن المسافة بيني وبين محمد محض حلم، بل كانت حقيقة توجزها وتختصرها زياراته السريعة إلى بغداد.. خيط كأنه ومضة بين بغداد وغرناطة.. الخيط ذاته يتلاشى عندما أجلس أمام محمد. كنت أنظر في وجهه وأسترق لمسة مقصودة من كفه كيما أؤكد لنفسي أنه موجود حقا بقربي. كل مرة أعيش هذا الإحساس..... في كل زيارة له إلى بغداد أفعل الشيء ذاته... بل أصنع هذا الإحساس.. فتارة أدعي أن كفي لامست قميصه خطأ، وأخرى أطلب منه أن يعيد أي شيء كان يقوله لأتأكد من حضوره، وهكذا دأبت أن أفعل في كل مرة الشيء نفسه فقط لأبدد فعل المسافة ولأؤكد تقارب الأمكنة مهما ابتعدت.

كان لزيارات محمد، صديق الطفولة والدراسة، وقعها بل عبقها الخاص. بل كان إحساسه بي من القوة بحيث يأتي إلى بغداد كلما استولى عليّ الضجر أو تملكتني الرغبة في التجوال بين الأزمنة. ولا أعرف هل كان يحقق لي تلك الرغبة ليمحو حزنا ما يجوس بقلبي أم أنه المارد الذي يتجلى لي ليحقق تلك الأمنية العسيرة أو ذاك الحلم الضائع.

يجلس بقربي ويتحدث إليَّ عن آخر ما قرأ وكتب وعن آخر ما شاهد من أفلام، وعن أحدث حاسوب محمول اقتناه، وعن أول حاسوب ظهر، ويخبرني عن آخر مكتبة تردد عليها في غرناطة، وآخر متحف زاره وعن آخر محطة توقف فيها قبل وصوله، وبينما هو كذلك يفتح حقيبته اليدوية الصغيرة ويهديني كتابًا برسومات لبيكاسو على غلافه. يناولني الكتاب ويستمر في حديثه: «خذي، هذه أحدث قصص خوان غويتيسولو، يجب أن تقرئيها، لا ينفك هذا الرجل يشير إلى الدم الأندلسي في كل أعماله.. وستجدين الأمر ذاته هنا في هذه القصة».

يسترسل محمد في حديثه عن غويتيسولو وكأنه قطع كل هذه المسافات ليحدثني عن هذا الكتاب.. هو يتحدث وأنا أنصت له. هو يتحدث وأنا أصغي إلى نبرة صوته. هو يتحدث وصوته يبتعد وأنا أنسحب وراء صداه.. صداه الذي ألفته

أروقة القصر.. بهدوء أغادر الرواق.. رحت أعد الأقواس التي كانت تسور القصر لكنني هنا في هذا القصر في جنة العريف، وكأني محمد؛ ذلك القادم من كل الأزمنة تنسحب خطواتي في قصر بني الأحمر لا أحد سواي، فكل زوايا القصر خاضعة للصمت كأنها خاشعة له.. الخضرة والسكون يحيطان به.. أسفل القصر خضرة وأعلى الجبل خضرة وأشجار قلمت بعناية وأشجار نخيل من غير تمر انتشرت عمدا بعبثية وفتنة بين طبقاته.. أدور وأدور في الأروقة، وأجتاز قنطرة صغيرة ينساب أسفلها جدول ماء كأنه يقول لي مازلت صغيرًا رغم أعوامي الألف أو يزيد... تقودني القنطرة إلى رواق آخر بسقف مرتفع.. أهبط درجتين، وأجد نفسي وسط ساحة تحفها جدران عالية. الجدران تستدير وتنحدر بشكل حلزوني أستدير معها، وأهبط معها، لكن محمد ظل يواصل حديثه، وبينما هو كذلك رحت أتدحرج لأجد نفسي أمام باب كبير من الخشب العتيق، باب يشبه أبواب بغداد القديمة. أقف أمامه وخطواتي تحتار بين العودة إلى بغداد أو البقاء في غرناطة.

أنظر في الجدار العتيق.....وأرى بصمة الكف. أنظر وأرى أن المفتاح المختوم على جدار قصر الحمراء يتدلى من جيب سروال محمد الذي يتابع حديثه عن قصور بني الأحمر، ويخرج لي من حقيبته مروحة يد خشبية ويضعها على الطاولة أمامي.

كانت حقيبة محمد تشبه صندوق الحكايات القادم من الماضي.. حقيبته تخزن الحكايات وتطوي المسافات والأزمنة والأخبار. حقيبته التي ابتاعها من سوق قديمة في بغداد لا يفرط فيها إلى اليوم، فهي كتاب الأزمنة والمسافات.

نهض محمد وعندما هَم بالخروج من بيتنا التفت إلي قائلًا: «غدا سأذهب إلى «المتنبي» فهل تأتين معي؟» ■

---

* مترجمة وصحافية عراقية

** فنان تشكيلي عراقي مقيم بباريس

الاسم «مدينة».. المهنة نسج خيوط الألم والأمل

لا تختلف قصة مدينة، المرأة السودانية النازحة من دارفور، عن قصص كثير من النازحات والنازحين بسبب القتال والذين يجدون أنفسهم في ظروف صعبة تحتم عليهم الشقاء للحصول على لقمة العيش.

ICRC

بالرغم من سنوات عمرها التي لم تتجاوز السابعة بعد العشرين، أصبحت «**مدينة عبد الحميد أحمد**» جدّة. أجبرت «**مدينة**» على مغادرة مسقط رأسها في قرية **مرشنغ** التي تبعد مائة كيلومتر عن مدينة **الفاشر** في جنوب غرب **دارفور**، تاركة وراءها أرضا ترتبط بها أيما ارتباط، وحاملة مشاعر حنين لم تفارقها للحظة بل على العكس ازدادت مع دوران عقارب الساعة.

بعد أن حلت على مدينة **الفاشر**، لجأت مدينة إلى كنف بعض الأقارب الذين يعيشون عيشة ضنك لا يميزها سوى هدوء نسبي يغلف المنطقة. في سوق الماشية كانت مدينة تفترش الأرض وتعمل على صنع العديد من المنتجات من سعف النخيل اليابس المزروع في **نيالة** التي تبعد 210 كيلومترات. تعلمت هذه الحرفة عندما كانت تذهب إلى سوق **الفاشر** حيث كانت تراقب لساعات طوال العمل الدءوب للحرفيات اللاتي سبقنها في هذا المجال. وبالرغم من كل الأعباء التي تحملتها نتيجة لظروفها الصعبة كانت مثابرتها محط الأنظار.

فاليوم أصبح لـ «**مدينة عبد الحميد**» زبائنها الذين يأتون إليها خصيصا، كما تتمتع بمكانة بين النساء اللاتي يغبطنها لما حققته من نجاح.

وتشد مدينة الرحال كل أسبوعين إلى منطقة أخرى لتبتاع ما يلزمها من منتجات العقادة كالخيط وحبات اللؤلؤ للتزيين، وبالطبع المادة الخام الأساسية لصناعتها وهي سعف النخيل. وتبلغ قيمة مشترياتها حوالي 25 جنيها سودانيا

فتيحة الشرع*

أي ما يقرب من عشرة دولارات لكل عمل من أعمالها. فالأسعار مرتفعة جدا ويصل سعر باقة السعف إلى 60 جنيها سودانيا (50 دولارا) هذا بخلاف سعر المسحوق ذي الألوان الخمسة الذي يميز الأعمال الحرفية التي يشتهر بها إقليم دارفور. وغالبًا ما تحمل كل هذه المواد على ظهرها لتقطع آلاف الأمتار سيرًا على الأقدام تحت أشعة الشمس الحارقة حتى تصل بها بعد عناء شديد إلى المكان المخصص لها في السوق.

لتبدأ دورة تصنيع منتجاتها التي تتطلب القيام بعدة خطوات جميعها بالغة الشقاء. تبدأ **مدينة** أولا بوضع السعف في وعاء مملوء بمياه استخرجتها من البئر حتى يسهل تشكيله. وبعد ساعات طوال، تأخذ نصف الكمية لتضعها في وعاء آخر به مياه مغلية أذيب فيها مسحوق مكون من ألوان طبيعية. وبعد ذلك تقوم بهمة ودأب بجذب الخيوط متساوية الطول، طولا وعرضا مطلقة لخيالها العنان لترسم بأناملها الرشيقة ملامح وأشكالا لإبداعاتها. وقبل أن تحين الساعة العاشرة، تذهب مدينة إلى السوق بعد أن تكون قد أدت جميع مهامها المنزلية، لتواصل عملها الدءوب الذي لا يوقفه سوى احتساء الشاي أو الكركديه وهو المشروب الشعبي الذي يفضله الجميع وتعده بائعة الشاي على الفحم.

* صحافية جزائرية

تقول **مدينة**: «**إن التجار هنا يفتقرون إلى الصدق، فكل واحد منهم يحدد الأسعار كما يحلو له والناس يبتاعون في حدود إمكانياتهم ـ إذا استطاعوا ـ وذلك لا يتكرر كثيرا**» فميزانيتهم محدودة جدا في سوق تعج بالعديد من عارضي المنتجات الحرفية حيث المنافسة بينهم على أشدها.

وتتحدث **مدينة** أيضا عن آلامها قائلة: «**أنا يتيمة الأب والأم، تحملت بمفردي مسؤولية كبيرة وهي إطعام أشقائي الستة، ثلاثة ذكور وثلاث إناث، كانوا جميعهم تقريبا صغار السن، هذا بالإضافة إلى أعباء أسرتي الصغيرة وهي مسؤوليات كبيرة تنوء بحملها الجبال**». أما أخوها الكبير، فقد تركهم ليستقر في قرية أخرى وتنقطع أخباره عنهم. لم تعتد «**مدينة**» الذهاب إلى مقاعد الدرس، إذ اكتفى أبواها بإرسالها إلى «الكُتاب» لتتعلم بعضا من آيات القرآن لأداء واجب الصلاة.

وبعيدا عن زوجها الذي بقي في **مرشنغ** للعمل في الحقول والحدائق التي يمتلكها مزارعون من ملاك الأراضي، تقول **مدينة** بصوت مكسور وقد اغرورقت عيناها بالدموع: «**أريد أن أعود إلى منزلي لأزرع أرضي كما كنت في الماضي. كنت أزرع الحبوب كالذرة والسمسم والفول وخضروات أخرى. فالمرأة التي تزرع أرضها هي امرأة مستقلة**».

كانت **مدينة** سعيدة هناك في بيتها بالرغم من كل المخاطر والمسؤوليات التي كانت تتحملها. لكن الاضطرابات التي تشهدها قريتها أحالتها إلى قرية مهجورة بعد أن فرض القتال على سكانها الشتات في جميع أنحاء دارفور. وانقطعت الاتصالات بينها وبين ذويها فلم تعد تعرف أخبارهم. ماذا حدث لهم؟ هذه هي حال الكثيرين غير **مدينة** ممن يعيشون أوضاعًا مماثلة في جميع أنحاء إقليم دارفور الرحب.

في كل مرة تحقق فيها **مدينة** مكسبا جيدا، وهو أمر قلما يحدث، تذهب هذه المرأة الكادحة إلى مسقط رأسها لتضع بين أيدي أسرتها الكبيرة جزءا من أموالها لمساعدتها على تلبية احتياجاتها اليومية.

أيا كان الزمن، فأيام هذه المرأة الحزينة تتشابه وتمر ثقيلة. ولكن بالرغم من كل شيء تستمر في رسم خطوط الأمل على ملامح يومها كما تفعل مع منتجاتها. فمع كل طلعة شمس، يداعب أمل العودة الوشيكة أحلام مدينة، وهي تواصل نسج خيوط آلامها وآمالها في سعيها اليومي من أجل حياة أفضل ■

طهران/بغداد:

اللجنة الدولية تساعد على إعادة رفات جنديين إيرانيين

برعاية اللجنة الدولية للصليب الأحمر، أعيدت في شهر تموز/يوليو الماضي رفات جنديين إيرانيين قُتِلا خلال الحرب التي دارت بين إيران والعراق في الفترة بين 1980 و 1988 وذلك من خلال معبر الشلامجة الحدودي قرب البصرة.

وقد سلّمت وزارة حقوق الإنسان العراقية رفات الجنديين التي عُثِر عليها في محافظة ميسان جنوب العراق، إلى لجنة البحث عن المفقودين واستردادهم التابعة للقوات المسلحة الإيرانية، بحضور مندوبي اللجنة الدولية على طرفي الحدود.

وتقول مندوبة اللجنة الدولية في طهران المعنية بالشؤون المتصلة بالمفقودين، والتي حضرت عملية التسليم رانيا مشلب: «لقد عانت العائلات سنوات عِدة من طول انتظار الكشف عن مصير أبنائها الأحباء. وبالتالي لن تخفف استعادة الرفات من حزن العائلات فحسب وإنما تضع أيضا حدًا لمرارة الشك. وما كانت عملية التسليم أن تتم لولا التزام سلطات كِلا الطرفين بالوفاء بواجبهما عملًا بالقانون الدولي الإنساني، والكشف عن مصير كل الذين لا يزالون في عِداد المفقودين».

وتظل آلاف العائلات الأخرى في انتظار استرداد رفات أبنائها بفارغ الصبر.

هذا وقد وقّعت إيران والعراق واللجنة الدولية في العام 2008 مذكرة تفاهم تهدف إلى كشف مصير الأشخاص الذين صاروا في عِداد المفقودين لأسباب تتصل بالحرب العراقية الإيرانية. وهي تساند هذه العملية بشكل كامل وتواصل جهودها في مساعدة السلطات على اكتساب الخبرة الفنية اللازمة لإدارة التحقيقات بفعالية في مجال الطب الشرعي.

ICRC

بيروت:

200 ألف مستفيد من مشاريع المياه

افتتحت بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في بيروت عشرة مشاريع مياه في منطقة البقاع الأوسط شرق لبنان، بحضور ممثلين عن وزارة المياه والطاقة ومسؤولين محليين. وسيستفيد من هذه المشاريع 200 ألف من سكان هذه المنطقة المهمشة. وقد استغرق تنفيذ المشاريع 18 شهرا بتكلفة إجمالية بلغت 430 ألف دولار أميركي. وشملت إعادة تأهيل محطات ضخ المياه وإنشاء خزانات مياه وشراء معدات جديدة (مثل المضخات الغاطسة والكابلات... إلخ). كما تم مد خطوط أنابيب بطول عدة كيلومترات لربط السكان بمراكز إمدادات المياه. وتخدم اثنتان من محطات الضخ الرئيسية عشرات القرى في وقت واحد.

ومنذ العام 2006، قامت اللجنة الدولية بتنفيذ أكثر من 115 مشروعا للمياه في لبنان، يستفيد منها ما يقدر بنحو مليون وخمسمائة ألف شخص. كما أطلق في العام 2009 مشروع واسع النطاق لتحسين التغذية بالمياه لأكثر من 4 آلاف سجين في سجن رومية المركزي (ضاحية بيروت الشمالية).

صنعاء:

احتفالات باليوم العالمي للحركة الدولية

بمناسبة اليوم العالمي للحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر الذي يصادف في 8 أيّار/مايو من كل عام، نظمت جمعية الهلال الأحمر اليمني فعاليات احتفالية في كل من مدينتي صنعاء وعدن بالتعاون مع بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في اليمن.

ICRC

وتضمنت الفعالية الأولى حملة نظافة وتوعية صحية في مدينة عدن قام بها متطوعون من فرع الهلال الأحمر وطلاب المدارس في المدينة، والتي هدفت إلى نشر الوعي بأهمية النظافة والحد من انتشار الأمراض.

أما الفعالية الثانية فقد أقيمت في صالة المركز الثقافي في العاصمة صنعاء وشملت حفلا خطابيا وعملا فنيا تجسد في مسرحية عكست أهمية العمل التطوعي والأنشطة الإنسانية التي تنفذها الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر.

ICRC

بغداد:

تعزيز خدمات الطوارئ في العراق

تبدأ وزارة الصحة العراقية بالتعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العراق، برنامجًا تدريبيًا معتمدًا حول خدمات الطوارئ وإدارة الإصابات الشديدة؛ ويهدف البرنامج إلى تحسين معايير رعاية الطوارئ في المؤسسات الصحية في العراق من خلال تدريب الأطباء والممرضين العاملين في إدارة رعاية الطوارئ لضمان معالجة الإصابات المهددة للحياة بالشكل المناسب فضلًا عن التدريب على كيفية السيطرة على العدوى، والتركيز على تدريب الأطباء والممرضين للعمل كفريق واحد في تقديم خدمات الطوارئ..

ويقوم فريقان من أطباء وممرضي اللجنة الدولية المتخصصين بخدمات الطوارئ بتقديم التدريب للمشاركين من الأطباء والممرضين في دورات تستغرق كل منها مدة ثلاثة أسابيع وينتظم فيها 24 متدربًا، ثمانية أطباء وستة عشر ممرضًا.

ويستمر البرنامج لعامين ومن المتوقع أن يتسع في المستقبل ليشمل مزيدًا من المستشفيات..

وسيتم اعتماد خريجي هذه الدورات من قبل وزارة الصحة العراقية إضافة إلى اللجنة الدولية.

إلى ذلك أصدرت بعثة اللجنة الدولية في العراق دليل «برنامج إعادة الدمج الاجتماعي الاقتصادي لذوي الإعاقات الجسدية» والذي يسلط الضوء على البرنامج الذي تنفذه اللجنة الدولية في العراق لمساعدة معيلي العائلات، خاصة أولئك المتضررين منهم بصورة مباشرة بسبب تبعات النزاع المسلح.

وتتيح اللجنة الدولية للصليب الأحمر لهؤلاء المتضررين الذين فقدوا أطرافهم أو قدراتهم، السبل الكفيلة لجعلهم أناسًا منتجين وفاعلين في مجتمعاتهم الصغيرة من جديد، بعد أن انقطعت بهم سبل العيش بسبب الإعاقات الجسدية..

ويوضح الدليل للمستفيدين من برنامج إعادة الدمج المواصفات والشروط التي ينبغي أن تتوافر بالمتقدمين للحصول على دعم اللجنة الدولية، فضلًا عن ماهية المشاريع وكيفية التقديم لها وأين يتم التقديم..

إسلام أباد:

اللجنة الدولية للصليب الأحمر تزيد المساعدات لضحايا الفيضانات

أطلقت اللجنة الدولية للصليب الأحمر نداءً لزيادة ميزانيتها بقيمة 77 مليون فرنك سويسري (أي ما يعادل حوالي 76 مليون دولار أمريكي أو 59 مليون يورو) من أجل زيادة حجم المساعدات التي تقدمها بالتعاون مع جمعية الهلال الأحمر الباكستاني إلى ضحايا الفيضانات في باكستان.

ويقول السيد «جاك دي مايو» مدير عمليات اللجنة الدولية لجنوب آسيا: «إننا نزيد من جهود الإغاثة لتوفير المواد الغذائية والمياه النظيفة والمساعدة الطبية إلى 1,4 مليون شخص. ونتغلب مع الهلال الأحمر الباكستاني على التحديات اللوجستية الكبيرة من أجل تحقيق هذا الهدف المنشود. بالإضافة إلى ذلك، نبذل كل ما بوسعنا للمساعدة على احتواء انتشار حالات الإسهال الحاد وغيرها من حالات الأمراض المنقولة بالمياه والملاريا. إننا في سباق مع الزمن».

وتسببت الأمطار الموسمية الغزيرة التي بدأت في أواخر شهر تموز/يوليو بفيضانات مدمرة غطت ثلث مساحة البلاد. وتحركت اللجنة الدولية والهلال الأحمر الباكستاني على الفور لتقديم المساعدات بسرعة إلى أكثر من 350000 شخص في مناطق مثل «خيبر باختونخوا» (وهي ما كانت تُعرف سابقا باسم مقاطعة الحدود الشمالية الغربية) و«بالوشستان» حيث تنفذان أصلا أعمالهما الإنسانية لصالح المتضررين من العنف المسلح. ووصلت مساعدات اللجنة الدولية منذ ستة أسابيع حتى الآن إلى حوالي 1,4 مليون شخص يعيشون في بعض المناطق الأكثر تضررا. وفي الوقت الذي بدأت فيه مياه الفيضانات تنحسر في بعض المناطق، تتواصل عمليات إخلاء المحاصرين بالفيضانات في مناطق واقعة جنوب البلاد.

ICRC

الكويت:

ورشة حول القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية

ICRC

بالتنسيق مع المركز الدولي للدراسات والأبحاث «مداد» في المملكة العربية السعودية، ومع الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت، نظمت البعثة الإقليمية للجنة الدولية لدول مجلس التعاون الخليجي ورشة عمل بعنوان «القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية: الضوابط وآليات التطبيق» في مدينة الكويت في شهر أيار/مايو 2010.

افتتح الورشة رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية د.عبداللّه المعتوق بكلمة شدد فيها على أهمية التواصل والحوار بين الجمعيات الخيرية والمنظمات الإنسانية من أجل خدمة العمل الإنساني. فيما أكد نائب المفوض الإقليمي للجنة الدولية في الكويت مؤيد كلابي في كلمته الافتتاحية على «أهمية مدّ الجسور لتبادل الأفكار والآراء ولبحث التحديات والصعوبات التي تواجه العمل الإنساني عامة في ظل ما تشهده النزاعات المعاصرة من انتهاكات لكرامة الإنسان وهو ما يتناقض مع القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية على حدّ سواء».

حضر الورشة أكثر من 30 شخصا يمثلون شريحة واسعة من الجمعيات الخيرية الفاعلة في كل من الكويت والسعودية. وإضافة إلى الحوار الذي جرى بين المشاركين والمنظمين حول مختلف المواضيع التي تهم العمل الإنساني والتحديات التي تواجهه، تناولت الورشة مواضيع تتعلق بالتعريف بالقواعد الأساسية للقانون الدولي الإنساني، الأشخاص والأعيان المحمية، العلاقة بين القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية، العلاقة بين القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان، نطاق الحماية الذي أقرته الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني، وآليات تطبيق القانون الدولي الإنساني. كما قدم المشاركون تجاربهم الميدانية في مجال العمل الإنساني.

جنيف:

إطلاق قاعدة بيانات قانونية جديدة لتعزيز حماية ضحايا الحرب

بمناسبة ذكرى اتفاقيات جنيف يوم 12 آب/ أغسطس، أطلقت اللجنة الدولية قاعدة بيانات جديدة بناء على دراسة أجرتها بشأن القانون الدولي الإنساني العرفي. ويمكن استخدام قاعدة البيانات كمرجع قانوني في النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية والمحاكم المختصة والمنظمات الدولية. وهي توفر للاختصاصيين القانونيين والأكاديميين سهولة الوصول إلى أحكام هذا القانون كما تعطيهم فرصة التحقيق في الممارسة الأساس بواسطة ثلاثة معايير للبحث: الموضوع، ونوع الممارسة، والبلد. وتتضمن قاعدة البيانات أيضًا مواد دولية جديدة لاسيما قانون السوابق الدولي ومواد الأمم المتحدة حتى نهاية عام 2007.

بعثات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة

القاهرة: 33 شارع 106 حدائق المعادي، 11431 القاهرة، ج م ع
هاتف: 25281540/25281541 (202+) فاكس: 25281566 (202+)
البريد الإلكتروني: cai_lecaire@icrc.org

عمّان: دير غبار، حي الديار، شارع يوسف أبو شحوت صندوق بريد 9058 عمان 11191
هاتف: 5921472/4604300 (9626+) فاكس: 5921460 (9626+)
البريد الإلكتروني: amm_amman@icrc.org

بغداد: (بغداد) العلوية: ص.ب 3317
هاتف: 01922464 (79 964+) فاكس: 763 712266 (873+)
(عمّان): غرب أم أذينة، ش البصرة، بالقرب من فندق الفور سيزونز، بناية رقم 5 و 14 ص. ب. 9058 عمّان 11191 الأردن
(عمّان): هاتف: 65523994 (962+) فاكس: 65523954 (962+)
البريد الإلكتروني: iqs_ iraq@icrc.org

دمشق: أبو رمانة، ساحة الروضة، شارع مصر، بناء الجرد، الطابق الثالث صندوق بريد 3579
هاتف: 3310476/3339034 (96311+) فاكس: 3310441 (96311+)
البريد الإلكتروني: dam_damas@icrc.org

الأراضي الفلسطينية المحتلة: شارع النبي شعيب رقم (8) منطقة الشيخ جراح، القدس 91202، صندوق بريد 20253
هاتف: 5917900 (9722+) فاكس: 5917920 (9722+)
البريد الإلكتروني: jer_jerusalem@icrc.org

بيروت: بناية منصور، شارع السادات، الحمرا، صندوق بريد 7188–11
هاتف: 739297/739298/739299(9611+) فاكس: 740087(9611+)
البريد الإلكتروني: bey_beyrouth@icrc.org

الخرطوم: العمارات شارع رقم 33 – منزل رقم 16 – الامتداد الجديد
صندوق بريد 1831 – 11111 الخرطوم
هاتف: 65/476464 (249183) + (خمس خطوط) فاكس: 467709 (249183) +
البريد الإلكتروني: khartoum.kha@icrc.org

تونس: بعثة إقليمية، (تغطي أنشطتها: تونس – المغرب – ليبيا – موريتانيا – الصحراء الغربية) المندوبية الإقليمية بتونس نهج بحيرة كنستنس، رواق البحيرة عمارة أ، ضفاف البحيرة تونس 1053
هاتف: 960179/960154/960196 (21671+) فاكس: 960156 (21671+)
البريد الإلكتروني: tun_tunis@icrc.org

الجزائر: 42 شارع المعز ابن باديس بوارسون سابقًا - الأبيار – الجزائر
صندوق بريد : 16606 الجزائر
هاتف : 03 43 92 21 / 73 40 92 21 (213+) فاكس: 18 43 92 21 (213+)
البريد الإلكتروني: alg_alger@icrc.org

صنعاء: شارع بغداد، رقم 19، منزل رقم 20 صندوق بريد: 2267 صنعاء
هاتف: 4/467873 / 44 38 21 (9671+) فاكس: 75 78 46 (9671+)
البريد الإلكتروني: san_sanaa@icrc.org

الكويت: البعثة الإقليمية لدول مجلس التعاون الخليجي (تغطي أنشطتها: الكويت، السعودية، الإمارات العربية المتحدة، قطر، البحرين، سلطنة عمان) الجابرية، قطعة 5، شارع رقم 3، منزل رقم 32 صندوق بريد: 28078 – الصفاة 13141
هاتف: 53220612 / 53220622 / 53220982 (965+) فاكس: 25324598 (965+)
البريد الإلكتروني: kow_koweitcity@icrc.org

بعثة الصومال: Denis Pritt Road، صندوق بريد: 73226 – 00200 نيروبي، كينيا
هاتف: 301 2719 (25420+) فاكس: 13731 27 (25420+)
البريد الإلكتروني: somalia@icrc.org

طهران: طهران، إلهيه، شارع شهيد شريفي منش، زنقة آذر رقم 4، قرب مستشفى أختر.
الرمز البريدي: 1964715353
هاتف: 4–21 22645821 (98+) فاكس: 21 22600534 (98+)
البريد الإلكتروني: Teh_teheran@icrc.org

موريتانيا: مقاطعة ن الشمال 182 مقسم ب صندوق بريد: 5110 نواكشوط
هاتف: 38 447 52 222+ فاكس: 97 446 52 222+
البريد الإلكتروني: nou_nouakchott@icrc.org

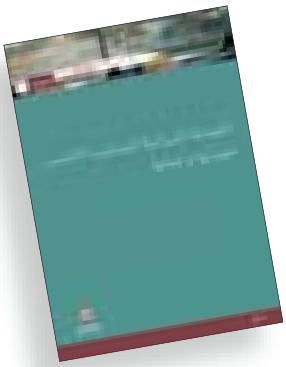

اللجنة الدولية للصليب الأحمر: مهمتها وعملها

يوضح هذا الكتيب قصة تشكل اللجنة الدولية، وكيفية عملها، وكيف تميز نفسها عن المنظمات الإنسانية الأخرى، لاسيما من خلال النهج متعدد التخصصات الذي تتبعه. فالهدف من هذا الكتيب هو عرض سمات اللجنة الدولية ونطاق عملها والسبل التي تتبعها للقيام به في صفحات قليلة.

العنف واللجوء إلى القوة

في بعض الأحيان، قد يصعب تحديد الخط الفاصل بين الاضطرابات والتوترات الداخلية من ناحية والنزاع المسلح من ناحية أخرى. ولابد من دراسة كل حالة على حدة باعتبارها الوسيلة الوحيدة لتصنيف هكذا أوضاع. وتعد درجة العنف العامل الرئيس المحدد في هذا الشأن. ولهذا التصنيف آثار مباشرة على كل من القوات المسلحة والسلطات المدنية كما على ضحايا العنف. فهو يحدد القواعد واجبة التطبيق عليها، والحماية التي ينبغي تقديمها بدرجة أو بأخرى بناء على الوضع القانوني للحالة. وقد صدرت النسخة العربية من هذا الكتاب حيث يمكن الحصول عليها من المركز الإقليمي للإعلام في القاهرة وبعثات منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

وسام «فلورانس نايتنغيل»:نشرة وملصق

بمناسبة إطلاق وسام فلورانس نايتنغيل للعام 2011 أصدرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر نشرة وملصقا يشرحان ماهية هذا الوسام الذي يكرم الممرضين ومساعديهم المتألقين وآليات الترشيح له.

تعزيز حماية المدنيين في النزاعات المسلحة

يشرح هذا الكتيب كيفية عمل اللجنة الدولية للصليب الأحمر لحماية المدنيين في أوقات النزاعات المسلحة وغيرها من حالات العنف باتباع نهج متعدد التخصصات معتمدا مبدأ الخطوة خطوة. ويركز الفصل الأول على التحليل الأولي لمشاكل الحماية المؤثرة على سكان بعينهم. أما الفصل الثاني، فهو يقدم تصنيفا لأنشطة الحماية التي تضطلع بها اللجنة الدولية لصالح المدنيين. ويغطي الفصل الثالث والأخير مسائل تهم المنظمات التي تتعامل مع بيانات الحماية.

أسس القانون الدولي الإنساني

صدرت نسخة جديدة ومحدثة من مطوية أسس القانون الدولي الإنساني. وهي تحاول أن تعرف بإيجاز بماهية القانون الدولي الإنساني وأهميته وكيفية توفيره الحماية وتحديد الأطراف التي يحميها هذا القانون. وتتضمن هذه المطوية إجابات بسيطة وموجزة عن هذه الأسئلة وغيرها من الأسئلة ذات الصلة، كما تشتمل على نظرة عامة عن دور اللجنة الدولية بوصفها «الوصي» على القانون الدولي الإنساني. وتعد هذه المطوية مقدمة مُثلى للقانون الدولي الإنساني.

التلوث الناجم عن الأسلحة

تلخص هذه النشرة المشاكل الناتجة عن التلوث الذي يسببه استخدام الأسلحة. وهي تُعْرف بوحدة الأسلحة باللجنة الدولية كما تفصل كيفية عمل اللجنة الدولية لحماية المدنيين من تبعات وآثار التلوث الناتج عن الأسلحة بما في ذلك من تطهير المناطق الملوثة والتوعية حول مخاطر هذا التلوث والتخفيف منها.

extra attention given to capitals and major cities in an effort to make the shift from agriculture to industry. This has resulted in a much higher standard of living and better incomes for those living in the city, making it an attractive option for those looking for steady employment. This is especially true since most industries are concentrated in and around cities, which undoubtedly calls for increased manpower.

In most cases of rural to urban migration, this essentially involves migration to the capital. This trend is exemplified in third world countries with high population densities such as Egypt, India, Iran, Turkey, Nigeria, Brazil and Mexico. This has led to huge, oftentimes disorganized, civilian societies, as many developing countries are unable to provide the necessary infrastructure, including health services, water, electricity and roads to these increasing numbers of residents. Additionally, such cities often suffer increased rates of violence and crime.

All of these challenges have led to a vicious cycle of economic distress and debt; increased rates of crime and environmental pollution; as well as failure of economic and social development and other humanitarian problems.

In fact, with the way things are, this world is heading towards an environmental catastrophe; case in point, global warming and its subsequent extreme weather events and the resulting environmental and humanitarian disasters.

Hasn't the time come for the human race to take a stance against many of the environmentally damaging practices affecting both their health and quality of life? Is it not time for a collective awareness that may possibly restore some balance to our lives and preserve the right of our future generations to a livable planet?

"Al-Insani"

AL-INSANI . 49 . Summer 2010
Expansion of urban areas or living in danger

Contents

• **Cluster bombs to plague Lebanese for many years to come** by **Samar Al-Kadi**, Communication Officer, ICRC Beirut
Merely 20 months after opening for signature and ratification in Norway, the Convention on Cluster Munitions entered into force on 1 August 2010. Despite the pass of 4 years since the August 2006 hostilities between Lebanon and Israel, the Lebanese continue to suffer losses in the lives of both children and adults as a result of unexploded cluster munitions that were dropped on Lebanon during the 5 weeks of conflict.

Dossier : Expansion of urban areas or living in danger
With the rapid urbanization taking place around the world, violence in many cities has reached epidemic levels, making daily life in some places comparable to that in war zones. This rapid urbanization leads to social, economic, environmental and health changes. It also creates new challenges for residents as well as for the governments and organizations trying to provide them with help. These conditions are fertile grounds for future armed conflicts and wars, with battles over new natural resources in place of those nearly depleted.

• **Violence, pollution, poverty and health problems**

• **Facing the humanitarian challenge of violence** by **Anne Leclerc**, the IFRC's Head of delegation for North Africa region, Tunis.
With today's rapid urbanization, violence has, in many areas, reached catastrophic levels. The resulting humanitarian challenges may in some cases match those resulting from armed conflicts. Nevertheless, some initiatives have been successful at alleviating some of this suffering.

• **The human face of climate change** by **Marie Claire Feghali**, ICRC delegate, Tunis
Is the rapid pace at which natural disasters are increasing a warning sign of the negative impact climate change is having on the world?

• **Water Wars Threaten Global Security** by **Dr. Essam Khalifa**, a Lebanese Expert on Middle East Water Issues at Lebanese-American University, Beirut.
Man has always had difficulties securing his water needs, but today we are witnessing novel battles over nature and conflicts between countries over access to water resources.

• **Urbanization and resource depleting farming: Water crisis is Yemen's biggest challenge** by **Mahmoud Al-Samei**, a Yemeni journalist Specialized in Water and Humanitarian affairs.
Yemen is a dry country with no permanent rivers, little rainfall during summer months and nearly none during the winter. These conditions make finding available water resources a significant challenge. Furthermore, Yemen is experiencing a population growth with an estimated population of 23 million which is expected to increase to 45 million within the next 3 decades. This is impeding development of the country and exhausting its resources, particularly its water resources.

• **Alaa Al-Aswany: The Influence of Slum culture on the City**
An interview with Egyptian writer, Alaa Al Aswany, author of The Yacoubian Building. He shares his views on why many Egyptians leave their villages to move to the city and how this has affected the pattern of life in the city, particularly in Cairo. Interviewed by Zeinab Ghosn

• **Violence in urban and school areas: "What an un-wonderful world!"** by **Soumaya Beltifa**, Communication Officer, ICRC Tunis
One of the most shocking and attention grabbing incidents is when a young person shoots his schoolmates. Without notice a schoolyard, playground or university campus can turn into a battleground leaving victims and emotional and physical suffering behind.

• **Farewell Mohieddine Ellabbad**
On the 4th of September, the Arab world lost his renowned artist, caricaturist and graphic designer Mohieddine Ellabbad, who is also the Godfather and designer of Al-Insani for over 12 years. This is a small tribute to the one who was known as "The Books Maker".

• **Of Us are Those Who Have Departed Content with What Remains of Beirut's Splendor and the Shade of its Trees** by **Dalal al-Bizri**, a Lebanese writer and researcher
An article in which the writer grieves over the passing of the good old days, a time when Beirut was a safe and beautiful place to live in.

• **Ten years later, the dream of reunion comes true** by **Maria Cecilia Goin**, Communication Officer, ICRC Jerusalem
As part of its ongoing efforts to reunite family members who lost touch with each other as a result of war, the ICRC recently succeeded in reuniting an elderly woman from Gaza with her daughter who is living in Amman, Jordan after 10 years of being apart.

• **Yemeni rehabilitation program for female prisoners: A window of hope into the future** by **Adnan Hizam**, Media and Publication Officer, ICRC Sana'a
In many regions of the world the ICRC supports non-traditional programs, such as the rehabilitation programs for female prisoners in Yemen to help integrate ex-prisoners back into society.

• **Golan Apples: The taste of childhood and symbol of hope** by **Soaade Messoudi**, Media Officer, ICRC Damascus
Over the past several weeks, huge white trucks adorned with the ICRC logo have been passing back and forth across the 1974 border. This is all part of an exceptional humanitarian mission in support of Golan apple growers with the aim to help them transport their apples into Syria.

• **Umm Salim making a career out of bringing hope to detainees** by **Nadia Dibsy**, Head of the Family Visit Program, ICRC Jerusalem
Umm Salim, has decided together with a group of Palestinian women to "adopt" a number of Palestinian prisoners whose relatives are unable to visit them.

• **Florence Nightingale medal: An honor ensuring that nurses receive the recognition they deserve**
During times of crisis, nurses are often compelled to work in conditions similar to those found during the time of Florence Nightingale. Sabine Helbig, the ICRC's head nurse, discusses the challenges faced by nurses in countries affected by conflict or natural disasters.

• **Madina: A woman filled with hope and pain** by **Fatiha Chara**' a, an Algerian journalist
Madina, a Sudanese woman displaced from Darfur, has a story similar to many displaced persons who suffer to find enough to eat under the harsh conditions they live in.

• **The credibility of refugee international protection mechanisms** by **Dr. Mohammed Al-Tarawneh**, Researcher in Human Rights issues and a member of the National Commission for International Humanitarian Law, Jordan

• **Teaching life-skills to unaccompanied refugee minors in Cairo** by **Zeinab Ghosn**
Africa and Middle East Refugee Assistance (AMERA) in cooperation with St. Andrew's Refugee Services arranged a Summer School program for a group of unaccompanied refugee minors from Sudan, Eritrea, Somalia and Ethiopia aimed towards teaching them Arabic and English as well as life-skills that will facilitate their survival in Cairo.

• **The city through the eyes of young refugees** by **Mohammed Sultan**, Media and Publication Officer, ICRC Cairo

• **Without Retouche**: Mohammad's bag by Ishraq Abd Al-Adil, Iraqi translator and journalist

• **Around the world**

Editorial

When the city loses its soul

Each city has a spirit made up of the collective spirits of those who live there; a spirit influenced by these people but also influencing them. For instance, you may find a quiet city, slowly moving towards its future; or a busy city, constantly attempting to overcome its prevailing chaos. You may also find a multicultural city with its many tongues which remind you of the Tower of Babel; or a lazy sea-side city enjoying its sunny skies while watching a child play in the sand.

However, cities change as do the people living in them. As a city's population grows with people from different cultures and different walks of life, the city begins to lose its spirit. Global figures indicate that in 2005, half of the world's population was made up of city dwellers. By the year 2015, it is predicted there will be 28 mega-cities, in other words, cities with populations of more that 10 million people.

This trend towards leaving the country for the big city began in wealthier countries during the nineteenth century with the onset of the Great Industrial Revolution. Some reasons behind this phenomenon include better job opportunities, improved economic and social status, better education systems and a more comfortable lifestyle.

However, over the past few decades a reverse migration has become apparent in these same countries, with people moving from big cities to smaller suburbs. The pollution, traffic and violence that come with living in big cities, have caused families to look for a safer, quieter and cleaner atmosphere to raise their children in. Conversely, migration from rural to urban and suburban areas in developing countries has continued. This migration comes as a direct result of the development efforts and

Shama